تم تحميل هذا الكتاب
من موقع الملفات الاسلامية
http://islamicfiles.net

إقامة الدين بالشباب

islamicFiles.NeT

بقلم
دكتور مبروك عطية
الأستاذ بجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى جعل القوة فى الشباب ، والصلاة والسلام على خير مَنْ أُوتى الحكمة ، وفصل الخطاب ، سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه ، ورضى بسنته إلى يوم الحساب .

وبعـــد :

فإن الله ــ عز وجل ــ أمرنا أن نُقيم الدين ، قال عز وجل :

﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ الشورى: ١٣

وإقامة الدين أنْ تُعظم شعائره ؛ فتحـــرص على أدائهـــا ، والإفادة من روحها ، وأنْ تُـــثبت للدنيا جميعًا أنك مسلم دون أنْ تنطق بها ، أى أنْ يكون سلوكك سلوك المسلمين ، فالدعوة إلى الله ــ سبحانه وتعالى ــ سابقة القول ، ألا ترى إلى قول الله ربنا : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ فصلت : ٣٣

وكم دعـــا الناس إلى الله ــ تعالى ــ بالسلوك ؛ ففازوا ، وأسلم بإسلامهم خلق كثير ، فمنهم مَنْ هاجر فى بلاد الله الواسعة ؛ فاستقر فى الصين ، وأقاصى إفريقيا ، وأمريكا ، فغرس الأشجار ، وشق الأنهار ، وجاءه النـــاس كمـــا جاءوا هاجر وابنها لما فتح الله عليها

بزمزم ، دلهم عليهما الطير ، وقالوا لها : هل ترضين أنْ نعيش إلى جوارك ، والأرض أرضك ، والماء ماؤك ؟ فرضيت ، وتزوج منهم بعد ذلك إسماعيل عليه السلام لكن هؤلاء الناس قالوا لمن غرس الأشجار ، وشق الأنهار : هل يمكن أنْ نأكل من ثمرك ، ونشرب من مائك ، ونعمل عندك ؟ فقال : نعم ، وأطعمهم ، وسقاهم ، ورضى بأنْ يعمل الراغب منهم فى العمل دون أنْ يظلمه ، فلما سألوه عن سبب هذا الخير الذى يقدمه للناس أجاب : إنه الإسلام ؛ فأسلموا .

وقد قال الله ــ عز وجل ــ فى آية آل عمران : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران: ١١٠

ولكى نكون خير أمة للناس لابد أنْ يرى الناس منا الخير ، أى لابد أنْ نكون أَئِمَّةً فى العطاء ، ولن نكون أَئِمَّةً فى العطاء إلا إذا زرعنا ، وحصدنا ، فآتينا حق حصادنا فى اليوم الذى نحصد فيه ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ الأنعام : ١٤١

وإلا إذا صنعنا ، وأنتجنا للدنيا كل ما يجعل الحياة أكثر رفاهية وازدهارًا .

هذا ، وقد قرأت لأحد المثقفين عبارة تدل على أنه لا علم له باللغة ، حيث قال : (كان ذلك فى الماضى) فَهم أنَّ (كنتم) فى الآية فعل ماض ، وهى كذلك ، لكنها تدل على عموم الأزمنة ، وهذا أحد الأسباب التى جعلت (كان) أُمّ الباب ، أى : أُمّ باب

النواسخ (أصبح ، وأضحى ، وأمسى ، وبات ، وصار ، وظلّ ، وليس ,..... إلى آخره) فيقال : كان وأخواتها ، ولا يقال : أصبح وأخواتها .

والدليل على ذلك أنك تقرأ قول الله ــ تعالى (وكان الله غفورًا رحيمًا) فهل تفهم من ذلك أنَّ الله ــ تعالى ــ كان غفورًا رحيمًا فى الماضى دون الحاضر والمستقبل ؟

لاشك أن الله غفور رحيم فى عموم الأزمنة .

وكذلك قوله ــ تعالى ــ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .

أى فى الماضى ، والحاضر ، والمستقبل .

ولن نكون خير أمة أخرجت للناس إلاّ إذا أقمنا الدين ، ليس فقط بأن نلبس لباس المسلمين ، وأن نعمر المساجد ، وأنْ نعتمر فى كل سنة ، وأنْ نُكَرِّرَ الحج ، وإنما نبنى ، ونزرع ، ونصنع ، ونتاجر ، ونعطى للنابغين الفرصة لكى يخترعوا الدواء ، وغيره ، حتى لا يسبقنا غيرنا ، وقد قال الله ــ عز وجل ــ ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ التوبة : ٨

وقال سبحانه :﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ الكهف : ٢٠

وقد سئل النبى ﷺ عن خير ما فى هذا الدين ، فقال: (إفشاء السلام وإطعام الطعام) .

وليس معنى إفشاء السلام أن تقول للناس : السلام عليكم ورحمة الله فى الذهاب والإياب ، وإنما معناه أنْ تحقق لهم السلام فعلاً ، قبل أنْ تلقيه عليهم قولاً ، فليس قولك لجارك : (السلام عليكم ورحمة الله) بكافٍ ، وأنت تعلم أنه جائع وأنت شبعان ، فما شَمَّ رائحة الجنة مَنْ بات شبعان ، وجاره جائع إلى جواره ــ وهو يعلم ــ كما قال النبى ﷺ حتى وإنْ قال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كل يوم ألف مرّة !

وقد رأيت أنَّ الشباب مَنُوط بهم إقامة الدين ، فمَنْ غيرهم يقوى على الجهاد ، والبناء ، والزرع ، والصنع ، والصبر على طلب العلم ، وكل ما يحقق إقامة الدين !

وقد رأيت أنّ فكرة (إقامة الدين بالشباب) تتحقق فى المطالب الآتية :

الأول : معنى إقامة الدين .

والثانى : الطريق إلى إقامة الدين بالشباب .

والثالث : الأسوة فى حياة الشباب .

والرابع : قضايا تَهُم الشباب .

والخامس : الإجابة عن أهم أسئلة الشباب .

والله أسأل أن ينفعهم به ، وينفع المسئولين عن تثقيفهم ورعايتهم ، إنه أعظم مسئول ، وأكرم مأمول .

أ.د مبروك عطية

الأستاذ بجامعة الأزهر

والداعية الإسلامى

الفصل الأول

معنى إقامة الدين

معنى إقامة الدين :

إقامة الدين معناها أنْ تجعل الدين واقعًا ، ملموسًا يراه الناس عملاً وسلوكًا ، بمعنى أن الناس يرونك حريصًا على أداء شعائر الإسلام ، قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ ﴾ النور: ٣٦ ـ ٣٧

والشباب مبدأ الرجال والرجولة ، ذكورًا كانوا أو إناثًا ، فقد قال الله ــ تعالى ــ لمريم ــ عليها السلام : ﴿ وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ آل عمران : ٤٣

وليست إقامة الدين فى أن تُؤدّى شعائرهُ من العبادات فقط ، ، وإنما معناها أن تكون على منهج الدين فى تعاملك مع الآخرين ، مسلمين وغير مسلمين ، فالله تعالى ــ يقول ــ ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة : ٨٣

ويقول : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ المائدة: ٨

أود أن أقول لك بموضوعية شديدة ما يأتى :

١ – إذا رآك الناس أمينًا ، قالوا: مسلم دون أن تكتب على محلك أو دُكّانك كلمة (الأمانة) .

٢ – وإذا رآك الناس وَفِيًّا ، قالوا : مسلم ، إذا رأوك تجاهد بكل ما أُوتيت من قوة قالوا : مسلم ، وهكذا ، تكون إقامة الدين ، أى بإعلاء شعائره ، ومبادئه بحيث يراها الناس واقعًا لا كلامًا .

فما أكثر الذين يتحدثون فى الدين ولا يعملون ، ولذا قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾

الصف : ٢ ـ ٣

وقال فى سورة محمد الآيتين (٢٠–٢١)

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾

وتأمل قول الله ــ تعالى ــ سبحانه : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ محمد : ٢١

أى إذا جدّ الجد ، وحان وقت العمل والفداء كان عليهم الصدق ، ذلك الصدق الذى حدثتهم أنفسهم به قبل أن يعزم الأمر ، أما أن يقول الإنسان : أفعل وأفعل وأفعل ، فإذا عزم الأمر وجدت مَنْ وعد ، وقال : أفعل وأفعل وأفعل لا يفعل شيئًا .

وهذا شائع بين الناس وبين الشباب خصوصًا المقبلين على الزواج ، إن كانوا صادقين فيه ، وعدوا الوعود البرَّاقة ، ومَنُّوا الفتيات بالأمنيات العظيمة ، فإذا عزم الأمر وجدتهم لا يفعلون شيئًا .

ولهذا تفسير مريح ، وهو أنهم فى وعدهم يرغبون ، ولكن ما أطول المد وما أقصر اليد !

أى أن العين بصيرة ، واليد قصيرة ، ولكن الأصل والأصح أن يكتم الإنسان هذه الرغبة ، وينتظر عندما يتم الزواج ، فإن كان معه ما يحقق به أمانيهُ فعل ، وإن كانت الأخرى ؛ فما جرح قلبا ، وما شرح بالأمنيات صدرًا ، والله لا يكلف نفسًا إلا وسعها .

ونحن نعتقد أن الشباب ثروة حقيقية ، وخير ما يستثمر فيه الشباب إقامة الدين ؛ لأن مرحلة ما قبل الشباب مرحلة إعداد وتدريب ، فنحن ندربُ الطفل على الصلاة إذا بلغ سبعًا ، نأمره كما قال عليه الصلاة والسلام ــ بدون عنف ولا شدة ، فإذا بلغ عشرًا ضربناه ، إذا أهمل ولم يصل ، ضربًا لا يغيِّر لون جلده ، ولا يكسر عظامه ، أى يكون ضربه بشىء خفيف لا يؤذيه ، فالغرض منه إشعاره بالإهانة ، وعدم الرضا عنه ؛ لأنه غير مكلّف .

ومِنْ شأن الأطفال أنهم يلعبون ، ويعبثون ، ويحلمون ، وخيالهم واسع ، وقواهم ضعيفة ، فكيف تنتظر منهم أنْ يقيموا الدين .

وكذلك مرحلة ما بعد الشباب ، حيث الكبر ولوازمه من ضعف السمع والبصر ، والعظام .

قال تعالى : ﴿ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ مريم : ٤

وتلك مرحلة الأعذار ، أى للشيخ عذره أن يصلى قاعدًا ؛ لأنه لا يستطيع الصلاة قائمًا ، والقيام ركن من أركان الصلاة للقادر عليه ، ويُعْذَر فى أن يفطر رمضان إنْ كان عاجزًا عن الصيام ، وهكذا ، فلم يبق إلاّ الشباب فى إقامة الدين ، قال الله ــ تعالى ــ :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ الروم : ٥٤

ولعلك تُدْرك فى ضوء هذه الآية الكريمة ، أنَّ الشباب قوة بين ضعفين ، ضعف الطفولة ، وضعف الشيخوخة ، ومن ثم فهو فرصة لا تعود ، ولله در القائل من قديم :

ألا ليْتَ الشبابَ يعودُ يومًا

فأُخْبِرَهُ بما فعــل المشيبُ

وما فعل المشيب كثير ، من ضعف القوى ، وقد قال القائل :

/ سمع أنبئك بآيات الكبر

تقارب الخطو وضعف فى النظر

وقلة الأكل إذا الأكل حضر

نوم العشى وسعال فى السحر

إلى آخره ، ناهيك باعتزال الناس إياه ، وإهمالهم له ، وغير ذلك .

وإذا كان الشباب فرصة لن تعود وجب على العقلاء أن يستثمروها أفضل استثمار ، ولن يكون ذلك إلاّ فى طاعة الله ــ عز وجل ــ

واعلموا معشر الشباب أنّ : طاعة الله ــ عز وجل ــ بمعناها الواسع أن تعيشوا خير حياة ، فالله ــ عز وجل ــ أنشأنا من الأرض واستعمرنا فيها ، قال ــ تعالى ــ ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ هود : ٦١

ومعنى استعمركم فيها : أى كلفكم بعمارتها ، فكل جهد يبذل من أجل أنْ تعمر الأرض هو جهد فى طاعة الله ، وفى سبيل الله الواسع .

وقد مرّ شاب فَتِى على الصحابة وهم حول رسول الله ﷺ فتعجبوا ، وقالوا : لو كان خروجه فى سبيل الله ! ؛ فقال لهم رسول الله ﷺ : لو خرج على والدين كبيرين فقيرين فهو فى سبيل الله ، ولو خرج على أرملة فهو سبيل الله ، ولو خرج على نفسه يَعُفُّهَا فهو فى سبيل الله .

فما أوسع سبيل الله ــ عز وجل ــ الذى يشمل الشباب ، لسعى على النفس ، أى سعى الإنسان على نفسه يعفها عن السؤال ، أى يغنى نفسه عن المسألة ؛ لأن الإنسان مُكرَّم ، قال الله ــ عز وجل ــ

فى آية الإسراء : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ الإسراء: ٧٠

أما الذين يقولون إن الشباب فترة مرح ، وضياع ، وشهوات ، وسهر ، وشات ، ونساء ، وبنات ، وتدخين ، ومخدرات ، فهؤلاء على ضلال مبين .

وقد شاعت هذه الفكرة الآثمة بين الشباب ، إلى درجة أنْ سألنى أحدهم قائلاً : كنت فى شبابى أفعل المعاصى ، وأنت تعلم أن الشباب طبعًا لابد أن يفعلوا ذلك ..... فاستوقفته عند قوله (طبعًا) وأنكرت ذلك عليه بشدة ، وقلت : ليس طبعًا ، وإنْ وقع ، فالأصل الأصيل أن الشباب فى طاعة ، وإنما جاء الانحراف لأسباب معلومة ، منها إشاعة تلك الفكرة الآثمة بينهم .

وفى الحديث الصحيح المحفوظ (وشاب نشأ فى عبادة الله) أى من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلاّ ظله شاب نشأ فى عبادة الله .

وقد كان حول رسول الله ﷺ شباب جاهدوا معه حق الجهاد ، فنشروا الدين ، وحموا حماه ، ومنهم من قضى نحبه شابًا ، ومنهم مَنْ عمرّ ، وصفحة شبابه بيضاء من الآثام ، والكبائر ، واللهو ، وضياع الوقت بلا فائدة ، كما هو الحال عند كثير من الشباب اليوم ، فكيف يكون (طبعًا لابد أن ينحرف الشباب) !

الفصل الثانى

الطريق إلى إقامة الدين بالشباب

الطريق إلى إقامة الدين بالشباب ..

كما أن الطريق إلى بلدٍ ما بالسيارة يختلف عن الطريق إلى ذات البلد بالطيارة ، كذلك يكون الطريق إلى إقامة الدين بالشباب مختلفًا عن طريق إقامته بالشيوخ الذين يكتفى فيه بخبرتهم ، ونصحهم ، وما توفر لديهم من طاقة محدودة .

وقد سمعت رئيس وزراء مصر يرد على الذين يقولون : الشباب الشباب ، ويجب أن تكون الوزارة من الشباب ، وأن يكون رئيسها كذلك شابًا ، سمعته يقول وهو فوق السبعين : والله إننا ما جئنا لكى نرفع حديدًا ، يقصد أنهم جاءوا بخبرات وعقول ، يمكن أنْ تنفع البلاد والعباد ، وهذا معقول جدًّا ، لو أنهم صَحّو إليهم الشباب ، واحتضنوهم ، ووفروا لهم ، فرصًا لكى يرفعوا بسببها الحديد ، ويكونوا حديدًا فى هذه الحياة لا قشًّا ، ولا وَرَقًا ضعيفًا .

وقد شرفت بأن عمل معى فى مشروع خيرى جماعة من الشباب ، قالوا لى بالحرف الواحد : لدينا يا أستاذنا طاقةً نريد أنْ نستغلها ، وعملوا معى بجد واجتهاد ، كانوا يستيقظون مع آذان الفجر ، يصلون ، وينطلقون إلى قرى بعيدة ، يوزعون الخيرات على الفقراء والمساكين ، ويعودون بالليل وهم سعداء بما يقدّمون من أعمال الخير ، وما يحصلون من قليل الأجر .

قال لى أحدهم : إن الله قد بعثك إلينا فجددت فينا الأمل ، وأشعلت فينا الهمّة ، وقال لى بعضهم : لقد كنت أشك أنْ بى مرضًا فى القلب ، وأننى لن أعيش طويلاً ، وقد أدركت الآن أن ذلك الإحساس بسب البطالة ، والخمل ، والكسل ، والقعود مع اليأس والفقر ، فأنا الآن ــ والحمد لله ــ فى كامل عافيتى ونشاطى ، ولا أشعر بما كنت أشعر به قبل أن أعمل معك .

ومن ثم أبدأ بأول معالم الطريق إلى إقامة الدين بالشباب ، وهو أن يعملوا .

فالقضاء على البطالة قضاء على رذيلة من أخطر الرذائل ، وأعنفها فَتْكًا بالشباب وقواه ، وقتلاً لروح الأمل فيه ، وكنت قد دعوت منذ أكثر من ثلاثين سنة إلى ضرورة أن تجمع الدولة الزكاة ؛ لأن قول الله تعالى (خذ من أموالهم صدقة) موجه إلى رسول الله ﷺ ومَنْ يلى أمر المسلمين من بعده إلى قيام الساعة ، وإنشاء مؤسسة للزكاة ، أو وزارة سوف يقضى على البطالة بنسبة كبيرة ؛ لأنك فى حاجة إلى باحثين ، وموزعين ، وهم العاملون عليها ، ولهؤلاء ثُمُنْ الزكاة ؛ لأنها توزع على ثمانية مصارف .

ولدينا مؤسسات مدنية ، وشركات خاصة ، تستطيع أنْ تضُم إليها شبابًا لا يعملون ، إن لم تتوفر لدى الدولة فرص عمل تتسع لجميع الشباب ، ولدينا مشروعات عملاقة معطلة ، وأخرى تنتظر ، ولدينا

أراضٍ من الصحراء شاسعة ، نستطيع بالشباب أن نزرعها ، وأن نصنع فيها ، وأن نرى الحياة معها أرق وأنعم ، لكننا عن جميع ذلك مُعَطّلُون (بفتح الطاء) ومُعَطِّلُون (بكسر الطاء) قُوَىً بين أيدينا تتنازعها الأهواء .

وقد وقف عمر بن الخطاب ﷺ يودّع أحد ولاته إلى بلده ، فقال له : ماذا تفعل لو جاءك الناس بسارق ؟

فقال : أقطع يده .

فقال عمر : ولو جاءنى منهم جائع أو عريان لقطعت أنا يدك ، ثم قال له ، هذه العبارة المشرقة :

(يا هذا ، إنّ الله خلق هذه الأيدى لتعمل ؛ فإن لم تجد فى الطاعة عملاً التمست فى المعاصى أعمالاً) .

والناس يزعمون أنهم يُسْهمون فى ذلك بنصيب من الصدقات ، يقولون : إننا ندفع لفلان من زكاتنا ، وصدقاتنا ، لأنه أب لثلاثة من الذكور تخرجوا فى الجامعة ولا يعملون ، بالإضافة إلى البنات ، والأَوْلَى أنْ يعينوا هذا الوالد بتوفير فرصة عمل لأولاده ، ونحن نحفظ قصة السمكة وتعليم الصيد ,ذلك المثل الذى يقول :

(إذا أعطيتنى سمكةً فقد ضمنت لى قوت يومى ، وإذا علّمتنى الصيد فقد ضمنت لى قوت عمرى) .

وكثير من الناس يكرر الحج والعمرة مع سماعهم ليل نهار ، وإيمانهم بأن الحج فريضة للقادر عليه مرة واحدة فى العمر .

والعُمْرَةُ سُنَّة للقادر عليها كذلك ، وهذا التكرار يتكلف الملايين بالنسبة إلى أعداد الذين يكررون ، فإذا توفرت هذه الملايين ، وأقمنا بها مشروعات عظيمة نفعنا بذلك الشباب العاطل ، وأقمنا به الدين .

ولدينا قصص مأسوية بسبب البطالة ، منها انحراف الشباب عن الجادة ، وعملهم فى أعمال غير صحيحة شرعًا ، واتجارهم فى أى شىء ، وهناك شباب فى بعض قرانا دفعهم الفقر ، والبطالة إلى أن يتزوجوا من أجنبيات عجائز من أجل المال ، والعمل بقارب ، أو فى أى مشروع من مال تلك العجوز التى اشترته بمالها بعد أن عزف عنها رجال بلدها .

ولدينا فتيات كذلك يعملن فى محال دَكَاكِين ، ويُفَرِّطْنَ فى أعراضهن ؛ لأن صاحب المحل يهواها ، وهى فقيرة ، وفى حاجة إلى نصف الألف التى تتقاضاها منه كل شهر ، و غير ذلك من القصص المعروفة .

٢- والمَعْلَم الثانى من معالم الطريق إلى إقامة الدين بالشباب أن يكون ذا خلق .

وذلك لأنه إذا تعلّم حرفة ، أو صناعة ، أو تخرج فى جامعته إلى وظيفة ما من الوظائف ، ولم يكن ذا خلق ــ ضَيَّعَ كل عمل ،

فلا فائدة من عمله ، بل إنه قد يكون خسارة ، لا نفعًا ، وفسادًا لا صلاحًا .

والخلق أيها الشباب منهج ، وليس كما يزعم كثير من الناس خفض الصوت ، واحترامًا للناس ، ونظرًا فى الأرض ، ونحو ذلك من الشكل .

وإنما الخلق الحسن ، الذى ورد فيه حديث رسول الله ﷺ الذى رواه البخارى فى صحيحه (أحسن الحسن الخلق الحسن) : أنْ تكون كما أراد ربك أن تكون ، أى أنْ تُخلص فى عملك وتُتْقِنُه ، فذلك من الخلق ، وأنْ تُؤَدِّى الأمانة إلى من ائتمنك ، وألّا تَخون مَنْ خانك ، وأنْ تأبى الذُل ، والفقر ، والقلة ، فتجتهد فى دفع هذه الموبقات ، وأنْ تصون لسانك عن اللغو ، والشتم والسب ، واللعن ، فليس المسلم بسباب ، ولا لعان ، ولا فاحش ، ولا بذىء .

وأن تحب لأخيك المسلم ما تحبه لنفسك ؛ ففى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : (لا يؤمن أحدكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه) .

وأنْ تعظّم شعائر الله ، لابد أنْ ترى نفسك ، وأنْ يراك الناس تَهُبُّ من أجل الصلاة فى أول وقتها ، وأنت قد توضأت قبل ذلك ، فانتظار الصلاة صلاة ، أى كونك تتوضأ من أجل الصلاة صلاة ، ومن كان

فى صلاة كان فى رحمة الله ــ عز وجل ــ وواسع فضله ، والله ذو الفضل العظيم .

وأنْ ترحم الصغير ، وأنْ تُوقِّر الكبير ، ففى الحديث الشريف : (ليس منا مَنْ لم يَرْحم صغيرنا ويعرف قدر (أو شرف) كبيرنا) .

وأنْ تكون بارًا بوالديك ، واصلاً لأرحامك ، محسنًا إلى جيرانك ، متعاليًا عن صغائر الأمور ، وأنْ تُحسن اختيار صديقك ، وأنْ تكون بمنأى عن الشبهات ، والشَّات ، والبنات ، فليس من خلق المسلم أن يُضيِّع وقته ، أو ماله ، أو شبابه ، فيما لا خير من ورائه .

٣- والمعلم الثالث من معالم الطريق إلى إقامة الدين بالشباب أنْ تكون لهم أسوة صالحة ، وقد قال الله ــ عز وجل ــ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب : ٢١

وأُسوتك بالنبى ﷺ تقتضى أنْ تكون على علم بالسُّنة ، والسُّنة هى الطريقة ، وسُّنة المصطفى ﷺ سُنَّتَان ، سُّنة عبادة ، وسُّنة حياة ، فسُّنة العبادة : مثل ركعتين قبل الصبح ، وركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعده ، وصيام يومى الاثنين والخميس ، ويوم عرفة ، وأنْ تتوضأ مثلاً ، فتغسل كل عضو من أعضاء الوضوء مرتين أو ثلاث مرات .

أما سُنّة الحياة ، وما أقل الحديث عنها ، فضلاً عن العمل بها فكثيرة جدًا ومنها ما يأتى :

١- أنْ تلقى الناس بوجه طلق ، فما شوهد ﷺ إلاّ مُتَبَسِّمًا ، وما لقى أحدًا بوجهه ، فصدّ عنه ، وما صافح أحدًا بيده إلاّ كان أول من يمد يده ، وآخر مَنْ ينزع يده .

٢- وأن تتواضع مع الناس ، فسنة النبى ﷺ التواضع ، روى عنه أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إنَّ الله أوحى إلى أنْ تواضعوا) .

والمسلم من خلقه التواضع ، قال ربنا ــ تعالى ــ : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الكهف: ٢٨

٣- وأنْ تعفو عمن ظلمك ، وتعطى مَنْ مَنَعَك ، وتَصِل مَنْ قطعك ، هكذا فسرت مكارم الأخلاق التى قال رسول الله ﷺ فيها (إنما بُعثت لأُتَمّم مكارم الأخلاق) .

٤- وألا تكون إمّعة ، تقول : إنْ أحسن الناس أحسنت ، وإنْ أساءوا أسأت ، وإنّما توطن نفسك ، وتعودها على أنه إذا أحسن الناس أنْ تُحسن ، وإذا أساءوا ألا تَظلم .

٥- وألا تنتقم لنفسك أبدًا ، وإنما تغضب إذا انْتُهِكَت حرمات الله ــ عز وجل ــ ، فمن المعهود عن سيد الوجود ﷺ أنه ما انتقم لنفسه أبدًا ، وإنما كان يغضب إذا انتهكت حرمات الله ــ عز وجل ــ

٦- وألا تكون ذا وجهين ، تلقى هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه ، قال ﷺ شَرُّ الناس ذو الوجهين ، الذى يلقى هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه .

٧- وأنْ تكون من أهل البُكُور ، الذين يقومون مبكرين ؛ فيصلون الفجر ، ويعملون ، فلا تنم حتى الظهيرة ، وتصلى الصبح (الفجر) بعد طلوع الشمس قضاء ، فوقت الصبح من أول ظهور الفجر الصادق حتى قبل أن تطلع الشمس ، فإذا طلعت الشمس كان قضاء .

٨- وأنْ تكون ذا عهد بالقرآن الكريم ، فلم يكن شيء يمنع رسول الله ﷺ عن القرآن الكريم إلاّ الجَنَابَة ، والقرآن أشدُّ تفلتًا من الإبل ؛ لذا وجب عليك قراءته ، كل يوم حتى لا يضيع منك ما حفظته .

وتَدَبَّر معانيه ، فالله ــ تعالى ــ يقول ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد: ٢٤

٩-وأنْ تفشى السلام ، بمعنى أنْ تكون مع الناس على مكارم الأخلاق ، كما فسره ابن حجر فى شرح البخارى فليس معنى إفشاء السلام أن تقول لكل إنسان باللسان (السلام عليكم ورحمة الله) فى الذهاب والإياب ، وإنّما معناه أنْ تُعْطى المسكين والمحتاج ، وأنْ تقضى حاجة الناس إنْ كان بوسعك أنْ تقضيها ؛ فالله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، وأن ترحم الضعيف ، وتقرى الضيف .

١٠- ومن سنته ﷺ إكرام الضيف دون تكلف ، قال أحد الصحابة لضيوفه من التابعين الذين لم يدركوا رسول الله ﷺ : لولا أنَّ رسول الله ﷺ نهانا عن التكلف لتكلفت لكم .

١١- ومن سنته ﷺ فى الزواج التَّيْسِير قال ﷺ : خير النساء بركة أَيْسَرُهُنَّ مهرًا) .

وكذلك مِنْ سُنَّته فيه أنْ يُشْهِر ، ويضرب عليه بالدفوف ، وأن تصنع من أجله الولائم على غير تكلف أيضًا .

رأى ﷺ أثر الزواج على عبد الرحمن بن عوف ؛ فسأله : هل تزوجت ؟ قال : نعم ، قال : أَوْلِمْ ولو بشاة .

١٢- ومن سنته ﷺ ومن المعهود عنه أنه ما خُيِّر بَيْنَ أمرين إلاّ اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا .

وكثير من الناس ، مع الأسف ــ ما خيروا بين أمرين إلاّ اختاروا أعسرهما ، رغبة فى المشقة ، والتعنت ، وفلسفة كاذبة تقول : حتى يتعلم الناس الأدب ، وفى الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه يقول النبى ﷺ (إن الله يُعَذِّبُ مَنْ يُعَذِّبُ الناس) .

١٣- ومن سنته ﷺ الرفق فى كل الأمور ، قال عليه الصلاة والسلام : *ما كان الرفق فى شىء إلا زانه* ، وما انتزع من شىء إلاّ شانه (أى عيبه) .

روى البخارى من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه أنه قال : أتينا رسول الله ﷺ وأقمنا عنده حوالى عشرين يومًا ، فرأى شوقنا إلى أهلينا ، وكان رسول الله ﷺ رفيقًا ؛ فأمرنا بالرجوع إليهم ، وأوصانا بالأذان ، والصلاة ,

١٤- ومن سنته ﷺ فى الحياة أنه ما ذمَّ طعامًا أبدًا ، كان إذا اشتهاه أكله ، وإلاّ تركه دون أنْ يذمه .

وروى البخارى فى صحيحه أنه ﷺ دخل بيته يومًا فسأل عن طعام ؛ فقيل له : ليس عندنا إلاَ الخل ، فقال عليه الصلاة والسلام : نعم الإدام الخل .

فلا تكن مثل الشباب الذى لا ثقافة عنده فى دينه ، يمدح ما يحب مِنْ صنوف الطعام ، ويذم ما لا يحب منه بدرجة مبالغ فيها ، تدل على أَنَّ فى النفس بغضًا لكل ما لا تهوى .

وكما يذم الطعام الذى لا يشتهى يذم كذلك الفريق الذى لا يشجعه ؛ فيرمى لاعبيه بالغباء ، ومشجّعيه بالجهل ، إلى غير ذلك من السلوكيات غير الإسلامية .

ونحن فى حاجة إلى إعادة النظر فى تلك الثقافة الخاطئة والسلوكيات السوداء السيئة ، التى تجافينا ، وتقصينا عن روح ديننا .

وقد مرّ النبى ﷺ على فريقين يتسابقان فى الرمى ؛ فقال لأحدهما : ارموا ؛ فإن أباكم كان راميًا ، ارموا وأنا مع بنى فلان ؛ فتوقفوا عن الرمى ؛ فسألهم عن سبب توقفهم ؛ فقالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟

فقال عليه الصلاة والسلام (ارموا وأنا معكم كلكم) .

فهل استثمرنا هذا الحديث ، فكنا مع جميع اللاعبين والفِرَق ، نشجع ذا اللعبة الجيدة من أى فريق .

ولو كنا قد استثمرنا ذلك لما كان من شقاق بين زوجين ، أحدهما يشجع فريقًا ، والآخر يشجع فريقًا غيره ، فضلاً عن حقن دماء كالتى أُرِيقَت فى بورسعيد ، وغيرها ، وسوف تظل تراق مادام فينا هذا التعصب الأعمى .

١٥- ومِنْ سنته ﷺ فى الحياة أنْ تحسن عشرة الناس لاسيما الزوجات ، فهو ﷺ القائل : رفقاً بالقوارير ، والقائل فى خطبة الوداع : أوصيكم بالنساء خيرًا .

والقائل فيما رواه البخارى فى صحيحه : (إنّ شر الناس مَنْ هجره النّاس اتقاء فحشه) .

١٦- ومن سنته ﷺ فى الحياة إنظار المعسر ، إذا جاء وقت سداد دينه وكان معسرًا ، قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ البقرة : ٢٨٠

وفى الصحيح عنه ﷺ أنه قال : مَنْ أنظر معسرًا أو وضع عنه (أسقط بعض ما عليه) أظلّه الله بظلّه يوم لا ظل إلاّ ظله) .

١٧- ومن سنته ﷺ فى الحياة الاعتدال والمعادلة بين الدين والحياة ، فقد بلغه ﷺ أنّ نفرًا من صحابته عزموا على اعتزال الحياة ، وأن يسيحوا فى الأرض يعبدون الله ــ تعالى ــ يصومون الدهر ، ولا يتزوجون ، فجمعهم ، وقال لهم : إنى أصلى وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، وهذه سنتى ، ومَنْ رغب عن سنتى فليس منى) .

وقال عليه الصلاة والسلام حين بلغه أنَّ امرأة لا تنام الليل : (اكلفوا من العمل ما تطيقون ؛ فإن الله ــ تعالى ــ لا يمل حتى تملوا) .

١٨- ومن سنته ﷺ فى الحياة الطيب ، وما كان يكره شيئًا كرهه أنْ تبدو منه رائحة غير طيبة ، وهو ﷺ القائل : إنَّ الله يحب أنْ يرى أثر نعمته على عبده ، وقال لرجل رآه على هيئة رثة : ألك مال ؟ قال : نعم يا رسول الله ؛ فقال له : أكرم نفسك كما أكرمك ربك .

وحين نهى ﷺ عن الكِبْر ، قال له الصحابة : إن الرجل منّا يحب أن يكون ثوبه حسنًا ، وأنْ يكون نعله حسنًا : فلم ينكر عليهم ذلك ، وإنما قال : *كُلْ ما شئت والْبَسْ ما شئت ما أخطأتك خَصْلَتَان سَرَفٌ ومَخِيلة* .

١٩- ومن سنته ﷺ فى الحياة الاعتدال فى الإنفاق ، قال الله ــ عز وجل ــ فى صفات عباده : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ الفرقان: ٦٧

وقد كان ﷺ يدخر أسْهمًا للنوائب (نوازل الدهر وما يعرض من مصائب) .

فلا تنفق جميع ما معك ، تقول كما يقول الجاهلون .

(أنفق ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب) .

فقد جاء ما فى الغيب وحيا من السماء ، حيث قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الإسراء : ٢٩

٢٠- ومن سنته ﷺ فى الحياة أن يُبَشِّر ولا يُنَفِّر ، ويُيَسِّر ولا يُعسِّر ، قال عليه الصلاة والسلام (يَسِّروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا ، وسددوا وقاربوا) .

وهنا كلمة مهمة ، خلاصتها أنَّ الذى يبشر بوعد عليه أن يكون على يقين بربه ، وعلى عمل ، حتى لا يفقد الوعد معناه ، وحتى لا تكون الحياة مجرد كلمات فارغة خالية من معانيها ، كما هى عند كثير من الناس اليوم .

وما أكثر السنن الحياتية التى أهملناها ، ونستطيع أن نلخصها ــ لأن الشباب يحب التلخيص ــ فى كل طريق من شأنه أن يجعل حياة الفرد أطيب حياة ، وحياة المجتمع أفضل حياة ، ولن يتحقق ذلك إلّا بنبل الخلق ، قال ربنا ــ عز وجل ــ (وَإنّك لعلى خُلُقٍ عظيم) ، وقال عليه الصلاة والسلام : إنَّ من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا) .

وأنْ يكون المسلم على سلام مع الله ــ عز وجل ــ يقتضى أنْ يُعَظّم شعائره ، وأنْ يُحلّ قرآنه بما ورد فيه من حلال ، وأن يُحرّم حرامه ، وأنْ يكون على عقيدة صحيحة ، وجهاد فى سبيله .

وعلى سلامة مع نفسه بالرضا المُعْتَبَر شرعًا ، ولن يكون الرضا معتبرًا شرعًا إلاّ إذا بذلنا كل ما لدينا من طاقة ، عندها نرضى بما قسم لنا ، لا أن نبذل قليل الجهد ثم نقول : نحن راضون ، ومَنْ رضى بقليله عاش ، والغنى غنى النفس ، وغير ذلك من الشعارات التى ظاهرها صواب ، لكن باطنها أخّرَ الفرد والأمة ، ودعا الناس إلى التواكل والتكاسل بينما نهض الغرب ، وساد العالم ، وهيمن عليه .

وأنْ يكون على سلام مع الناس بأن يحسن الصحبة والعشرة والجوار ، وحب الخير لهم ، جاء فى الصحيح عنه ﷺ أنه قال (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

٤- والمعلم الرابع من معالم الطريق إلى إقامة الدين بالشباب ؛ أنْ يكون على وعى بدينه ، وعيًا صحيحًا يرتكز على روح الدين ، وروح الدين فى المعاملة بين الناس ، وأنْ تكون إقامة شعائره مثمرة ذات وجود حقيقى فى حياة العابد ، والمقيم لتلك الشعائر ، ألا ترى إلى قول الله ــ عز وجل ــ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ العنكبوت : ٤٥

وإلى قوله ــ تعالى ــ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة : ١٨٣

وإلى قوله ــ تعالى ــ : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ﴾ البقرة : ١٩٧

وتقوى الله ــ عز وجل ــ معناها أنْ تتخذ لنفسك وقاية من غضب الله ــ عز وجل ــ بأنْ تعمل الصالحات ، وتجتنب المُوبِقَات .

وكثير من الناس يقيم شعائر الدين ، ولا يغير من روح تلك الشعائر ، فهم يؤدونها جسدًا بلا روح ، وكأن إقامة الدين نقرة ، وحسن الخلق نقرة أخرى .

وقد رأيت بعض الشباب يقولون لمن زعموه يعتدى على حقوقهم : لا تظن بأننا نصلى ، أو أننا نعبد الله ــ عز وجل ــ أننا فريسة سهلة ، فأنت لا تعرفنا ، نحن باللفظ الواحد (صيّع) .

أقول لهؤلاء الشباب ، ماذا تقولون فى حديث رسول الله ﷺ : فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إنى امرؤ صائم .

ما قال النبى ﷺ للصائم إنْ تعرض لإساءة ، قل لمن أساء إليك : لا يغرنك صيامى ؛ فأنا أستطيع أنْ أفعل بك الأفاعيل ، أو أنت لا تعرف عينى الحمراء ، أو وجهى الآخر ، وإنما قال : قل إنى امرؤ صائم .

ولا شك أنّ فى الدين علاجًا لمثل هذه القضية ، هى حسن الخطاب ، والانتصار باللجوء إلى القضاء على نبل فى الخصومة ؛ فقد شرع القضاء فى الإسلام لفض المنازعات بين الناس .

ولا يعنى القضاء أو التقاضى أو رفع الأمر إلى القاضى ، أو إلى المحكمة أننا صرنا أعداء كما يظن العوام ، لأننا قد نختلف ، وقد يَدّعِى بعضنا أنه صاحب حق فى الوقت الذى يدّعيه أخوه فى ذات الوقت ، فماذا نفعل ؟ لا بد أنْ يحكم بيننا خبير فى الحكم ، وهو القاضى ، وعلينا أنْ نرفع الأمر إليه ، ونحن إخوة ، وأنْ نرضى بحكمه .

فمعيار الحكم فى الإسلام (البَيِّنةُ على مَنْ ادَّعى واليمين على مَنْ أنكر) .

وحتى يكون الشباب على وعى صحيح بدينه لابد أنْ يسأل العلماء الثقات فيه ، قال الله ــ تعالى ــ ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل : ٤٣

غياب (لولا) :

معنى (غياب) لولا ، أى غياب التذكر ، دخل الناس على خَبَّابِ بن الأَرَتِّ من المسلمين الأوائل ، وقد اكتوى ، كان فى ظهره بحر من أثر النار التى أعدها من أجل تعذيبه المشركون ، وقد سأله عمر ﷺ فقال : والله ما أطفأها إلاّ شحمى .

روى مسلم فى صحيحه من طريق قيس بن أبى حازم قال : دخلنا على خباب ، نزوره ، وقد اكتوى ؛ فقال : لولا أنَّ رسول الله ﷺ نهانا أنْ ندعو بالموت لدعوت به .

معنى هذا أنَّ هناك داعيًا من النفس يقول : أين أنت أيها الموت ، كى يستريح البدن مِنْ هذا العناء .

وهناك داع مِن الدين على لسان خاتم المرسلين ﷺ يقول : لا يَتَمَنَّيَنَّ أحدكم الموت لضر نزل به .

وعلة الدين واضحة من وراء هذا النهى ، فالحياة فرصة لعمل الخير ، الذى يعلى رصيد المرء عند ربه يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلاّ مَنْ أتى الله بقلب سليم ، وهى كذلك فرصة للتوبة عن المعاصى .

وهنا يتنازع النفس داعيان ، داع منها وداع من الدين ، فيغلب داعى الدين على داعى النفس ، فيكون النصر .

وأول من أيقظ هذا المعنى فى النفوس كتاب الله ــ عز وجل ــ فقد قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأنفال : ٦٨

قال السيوطى صفحة ١٨٥ : بإحلال الغنائم والأسرى لكم .

ويقول تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ النور : ١٤

قال مبروك عطية : أى لولا رحمة الله بالمؤمنين فى الدنيا والآخرة لأنزل عذابًا من السماء نور تحدث المسلمين فى حادثة الإفك .

والنبى ﷺ أيقظها فينا ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يلتقط التمرة من الطريق ، ويقول وهو يميط عنها الأذى ، ويقول : لولا أننى أخشى أنْ تكونى من الصدقة لأكلتك .

فمن ذا الذى سمعناه ، يقول : لولا أنْ قال الله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ النساء: ١٠ لأكلت مالك أيها اليتيم .

ومن ذا الذى سمعناه يقول : لولا أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن الغشّ ، حيث قال : (مَنْ غَشَّنا فليس منَّا) لغششت ، وهكذا .

وهيهات أنْ يقول : (لولا) إلا إذا كان ذلك القائل يدرى ويعلم ما بعدها ، وهيهات أنْ يقولها إلا مَنْ آثرها على الواقع الذى يشتعل بما يحقق فينا الرغبة والشهوة المجردة عن اعتبار الدين .

الفصل الثالث

الأسوة فى حياة الشباب

الأسوة فى حياة الشباب ..

يقول الله ــ عز وجل ــ فى آية الأحزاب (٢١) : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١

والنبى ﷺ يقول : (صَلُّوا كما رأيتمونى أُصَلِّى) ويقول عليه الصلاة والسلام : (خُذُوا عنى مناسككم) ، وقد سأله رجل عن صيام الجنب ، أى مَنْ أصبح جنبًا ، وهو صائم ، هل تبطل الجنابة صيامه ، فبين له ﷺ : أنَّه يصح ، قال : وأنا أصبح جنبًا وأصوم ؛ فقال الرجل : لسنا مثلك يا رسول الله ، فقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؛ فغضب رسول الله ﷺ وقال : إنى أخشاكم لله ــ تعالى ــ وأتقاكم له) .

وقد روى البخارى فى صحيحه قول النبى ﷺ : (خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى) .

وقد سُئلت أُم المؤمنين عائشة ــ رضى الله عنها ، عن خلقه ﷺ فقالت : كان خُلقه القرآن ، ومعنى كان خُلقه القرآن أنَّهُ ما أمر القرآن الكريم بأمر إلا كان أول مَنْ يَأْتَمِرُ به ، وما نهى عن شىء إلا كان ﷺ أول من ينتهى عنه .

وكذلك مَنْ أراد أنْ يَتَأَسَّى بالنبى ﷺ عليه أنْ يتخلق بأخلاق القرآن الكريم على هذا المعنى ، والقرآن الكريم يقول : (وأقيموا

الصلاة) فكيف يدعى امرؤ أنه مسلم ، وأنه يتأسى بالنبى ﷺ وهو تارك للصلاة ، أو متكاسل عنها ، وقد جعلت قُرَّة عين النبى ﷺ فى الصلاة ، وكان يقول ﷺ : قم يا بلال ، أذِّن وأرحنا بها .

وحين هجم الأحزاب مِنْ كل صوب على المدينة المنورة قال ﷺ : (ملأ الله بيوتهم أو قبورهم ناراً ، شَغَلُونَا عن صلاة العصر) .

ولا شك أنَّ الأحزاب الذين هجموا فجأة على المدينة المنورة شغلوا المسلمين عن حركة الحياة برمتها ، مِنْ حيث الفجأة ، والأعداد المرعبة ، والإحاطة بالمدينة ، ومع ذلك لم يذكر ﷺ مِنْ حركة الحياة إلا الصلاة ، التى هى عماد الدين ، مَنْ أقامها فقد أقام الدين ، ومَنْ هَدمها فقد هدم الدين ، وإقامة الصلاة لأول وقتها ، مِنْ أفضل الأعمال ، وأحبّها إلى الله ــ عز وجل ــ

روى البخارى فى صحيحه أنه ﷺ سئل عن أحب الأعمال إلى الله ــ عز وجل ــ ؛ فقال : الصلاة على وقتها .

ولا شك أنَّ كثيرًا مِن الشباب مهمل فى الصلاة ، وبعضهم ، وكذا أهلوهم يزعمون أنّ فى العمر بقية ، وأنّ غدًا لناظره قريب ، وأنهم سوف يكبرون ويعقلون ، وكأنهم مجانين وأهل طِيش دون استثناء ,

وكما قلت : إنّ من الضلال أنْ يقال : إنّ الشباب طبعًا يقترفون الآثام ، ولا بد أنْ يقعوا فى الخطيئة ، ولا بد أنْ يشربوا الخمور ، وغيرها مِن المخدرات ، ولا بد أن يصادقوا البنات ، ويعاشروا النساء الأجنبيات فى الحرام ، ثم بعد ذلك يهديهم الزمن ، ويتوبون .

والحق أن الشباب هم أهل القوة فى إقامة الدين ، وأهل المروءة والنجدة ، والعطاء ، منوط بهم ، أنْ يقيموا دين الله ــ تعالى ــ خير قيام ، بالجِدِّ والاجتهاد ، والعزم ، وقوة الإرادة ، والقوة النافذة المنقذة لتلك الإقامة .

وعلى أهل الشباب أنْ يشجعوهم على الصلاة ، صحيح أنه فات زمان الأمر بلا ضرب ، وزمان الأمر مع الضرب ، وذلك فى سن العاشرة ، فإنْ فات زمان الأمر والضرب فما فات زمان النصح الجاد ، والغضب الحقيقى الذى يكون من والد ، ووالدة ، وزوج ، وصديق ؛ فإنّ الغضب الحقيقى أشد وطأة على نفس الشاب من العصا ، والسيف ، لكن الشباب يعرفون أنّ غضبة هؤلاء غضبة تمثيل ، وليست غضبة حقيقية ، وأنها بعد ثوان معدودة أو ساعات سوف يعقبها اعتذار ، تقول الأم التى كانت غاضبة لولدها : أنا أرجوا الخير لك ، وحزينة لأنك لا تصلى ، مع العلم أنك كنت تصلى منذ نعومة أظفارك ، ويبدو أنّ عَيْنًا أصابتك ، ورفاقك هؤلاء رفاق سوء ، فقد مشيت مع فلان ، وصادقت فلانا ، وتعرفت على فلان ، وكلهم لا يصلون ، وهم السبب .

فيتعاطفها وهو يضع يده على كتفها .

– والله يا أمى ، إنهم شباب محترمون ، ويحبونك ويقدرونك ، ويموتون فى أكل المحشى من يدك .

– يا وادِ ، ابلف امك .... أنا عارفة بك غير جاهلة .

– بالله عليك ، هل يحب أصحابك أكل المحشى من يدى .

فيقول : طبعًا يا أمى ، لا أحد من طباخ الفنادق الكبرى ، ولا واحدة فى القطر كله تعد المحشى مثلما تعدينه ؛ فتضحك الحاجة ، وتقول : قل لأبيك هذا الكلام ، فإنه لم يمدح محشى أمك منذ خمسة وعشرين عامًا ، وهكذا يتحول الكلام إلى محشى ، وإلى والد الشاب ، وأحبتها ، وجيرانها ، ولا حديث عن الصلاة ، وإقامتها ، وحرمة تركها ، وقد تجد الشاب أو الرجل الكبير يصلى ، ويحرص على إقامة الصلاة ، فى أول وقتها ، وقد تكون صلاته الفجر فى جماعة بالمسجد له عادة فى الشتاء والصيف ، ومع ذلك يأكل أموال الناس بالباطل ، ويَسِيء الجوار ، ويرتكب المنكرات .

وهذا هو الذى لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، والله ــ عز وجل ــ يقول : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ العنكبوت : ٤٥

وفى الصحيح يقول عليه الصلاة والسلام (مَنْ لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، فلا صلاة له ، أى : فلا صلاة كاملة له ، وفى رواية ذكرها الإمام ابن عبد البر ــ رحمه الله ــ يقول عليه الصلاة والسلام : مَنْ لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلاّ بعدًا .

صحيح أنّ الفريضة (الصلاة) قد سقطت عنه ، فلا إعادة عليه ، إذا كان قد أداها أداء صحيحًا ، فتوضأ بالماء ، أو تيمّم بالتراب ، ثم

استقبل القبلة ، وكبّر مع النّية تكبيرة الإحرام ، وقرأ فاتحة الكتاب ، وركع فاطمأن ، واعتدل قائمًا من ركوعه إلى آخره ، لكن سقوط الفريضة عنه لم يسقط معه سوء خلقه ، وشُح نفسه ، وسوء عاداته ، فهو مفلس كما قال ﷺ : أتدرون مَنْ المفلس ؟ فأجاب الناس بقولهم : إن المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال ﷺ : إنَّ المفلس من أمتى مَنْ يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وحج ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وضرب هذا ، وأكل مال هذا ، فيؤتى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أنْ يقضى ما عليه أخذ من سيئاتهم ، وطرح عليه ، ثم طرح به فى النار .

والذين يريدون أنْ يقيموا الدين ، عليهم أنْ يعلموا أنَّ العبادات إنما شرعت من أجل تهذيب السلوك .

وقد كتبت عملاً مستقلاً عنوانه : (تزكية النفوس من مقاصد بعثة الرسول ﷺ) .

ألا ترى إلى قول الله ــ تعالى ــ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ الجمعة: ٢

وقد نزل لص تائبٌ ضيفاً على أبى بكر الصديق ﷺ فراقبه الصديق بالليل ، فوجده يقرأ القرآن ساعة ، ويصلى ساعة ؛ فقال ﷺ : والله ما لَيْلك بلَيْلِ سارق ، فلما أصبح وجد ذَهَب ابنته أسماء قد سُرق ،

ووجد هذا اللص واقفًا بالباب والناس ملتفون حوله ، وهو يدعو على مَنْ سرق ابنة الصديق ، والناس يقولون : آمين .

وجاء صائغ يهودى على هذه الضجة ، وعلم أنّ ذهب أسماء قد سُرق ، فقال للصديق : أهذا هو ؟ قال : نعم ؛ فقال : أتانى به هذا الذى يدعو على مَنْ سرقك ؛ واعترف اللص ؛ فقال الصديق : والله ما عرفت الله ، وأقام عليه الحد .

وهذه العبارة التى قالها الصديق عظيمة ، وهى تنطبق على كثير من الناس خصوصًا الشباب ، الذين يصلّون ويزنون ، ويصلّون ويعقّون آباءهم وأمهاتهم .

ويضيعون أوقاتهم ، وأموالهم ، وأموال أبائهم وأمهاتهم ، فهؤلاء كما قال الصديق ﷺ ما عرفوا الله ، لأن مَنْ عرف الله أقام الصلاة ، وأفاد من روحها ؛فهذبت نفسه ، وزادته أدباً وكمالاً ، ورقة وجمالاً ، وتترهاً عن أسافل الأمور ، ومفاسد الأخلاق ، وسوء العادات ، وكذلك الصيام ، وسائر العبادات .

قال الله ــ تعالى ــ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة : ١٨٣

وقال عز من قائل : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ ﴾ البقرة : ١٩٧

وكذلك تلاوة القرآن الكريم ، فإنها عبادة ، والله ــ عز وجل ــ يقول : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد : ٢٤

وقد روى أنّ عمر ﷺ كان وقّافًا عند كتاب الله ــ تعالى ــ وكذا سائر الصحابة ، فقد ثبت عنهم أنهم كانوا يحفظون السورة من القرآن الكريم ويعملون بها .

ومعنى كونك وقّافًا عند كتاب الله ــ عز وجل ــ أنك تقرأ القرآن الكريم ، وتعرض حالك عليه ، فإن وافقت حالك ما تقرأ فاحمد الله ــ عز وجل ــ وإنْ كان بين حالك وبين ما تتلو من كتاب الله ــ عز وجل ــ مسافة فغيّر من حالك وَفْقَ ما عليه كتاب الله ــ عز وجل ــ الذى يدعو إلى كل فضيلة ، وينهى عن كل رذيلة ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فهو يأمرك بعبادة الله وحده ، لا شريك له ، وأنْ تحسن إلى والديك ، قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤

وقال ــ عز وجل ــ : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ النساء : ٣٦

ويأمرك بإيتاء ذى القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ويأمرك إذا أعرضت عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ، أى إنْ كنت فى حال عسر ، وجاءوك أنْ تقول لهم قولاً ميسورًا ، قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الإسراء: ٢٨

وقد قال المفسرون إنّ معنى القول المَيْسُور ومثاله أنْ تقول لهم : إنْ شاء الله يأتى الخير وسوف أرسل إليكم ، أو عن قريب سوف يفرج الله ويفتح ، وتنالون الخير ، وهكذا ، ويأمرك بحسن الجوار ، وينبئك عن ضيف إبراهيم المكرمين ، ويفتح أمامك آفاق الأمل ، والرجاء ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الأعراف : ٥٦

ويفتح أمامك باب التوبة ، ويقول لك : لا تيأس من رحمة الله ؛ فإن الله ــ عز وجل ــ يغفر الذنوب جميعًا ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣

فمن قرأ القرآن ، وتدبره ، فعرض حاله عليه ، فما وافق منه حاله ووافقه بأنْ كان عابدًا لله وحده ، لا شريك ، وكان بارًا بوالديه ، محسناً إلى جيرانه ، واصلاً لأرحامه ، يأكل الحلال الطيب ، ولا يأكل الحرام الخبيث .

وعليك أنْ تتعرف على الله ــ عز وجل ــ فى ضوء تدبرك للقرآن الكريم ، فالله ــ عز وجل ــ ربك الذى خلقك ، فسوّاك ، فعدلك ، فى أى صورة ما شاء ركبك ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ الانفطار: ٥ ـ ٨

ولذلك أقول لك : ليكن نصب عينيك دائماً هذه الكلمة :

(لست وحدك ، وإنما لك رب يُدَبِّر لك أمرك) .

فإذا ضاقت عليك الدنيا فلا تكن جاهلاً تضرب رأسك فى الجدار ، ولا تنفخ نفخة اليائس ، وتظن أنك وحدك ، وأنّ الدنيا قد ضاقت عليك ، ولا أمل فى حل لمشكلتك ، فالله ــ تعالى ــ يقول : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر: ٦٠

وحتى يستجيب الله دعاءك ، عليك أنْ يكون لك رصيد من الخير عند الله ــ عز وجل ــ ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠ ﴾ الأنبياء: ٩٠

وسبيلك إلى أنْ يُفرّج الله ــ تعالى ــ همك ، ويُنفّس كربك ، ويجعل لك من كل ضيق مخرجًا أن تتّقيه ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ

حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣ ﴾ الطلاق : ٢ ـ ٣

وتعرَّف على الله مع هذا الجمال ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ السجدة : ٢٢ فلا تك مجرمًا ، أى صاحب جريمة ، وتارك الصلاة مجرم ، بدليل قول الله ــ تعالى ــ فى سورة المدثر : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ ﴾ المدثر: ٤٢ ـ ٤٣

وكذلك مرتكب الكبائر من القتل ، قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، والزنا ، والسرقة ، والغيبة ، والنميمة ، وسب أبويك ، بأنْ تكون سبباً فيه ، قال عليه الصلاة والسلام : إنَّ من الكبائر أنْ يسب الرجل والديه ، فسأل الصحب الكرام رسول الله ﷺ كيف يسب الرجل والديه ؟ ؛ فقال ﷺ : يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه .

واعلم أنَّ الله ــ عز وجل ــ يريد لكل ذى نعمة أنْ يزيده منها ..... تصور !

والدليل على ذلك قوله ــ تعالى ــ : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ إبراهيم: ٧

ويريد الله ــ عز جل ــ لمن به بأس وشدّة أنْ يكشف عنه بأسه ، وشدّته ،،

والدليل على ذلك قوله ــ تعالى ــ : ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ ﴾ الأنعام: ٤٣

وتعرف على النبى ﷺ الأسوة الأولى لنا ، إنْ كنا نؤمن بالله واليوم الآخر ، قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب : ٢١

وقد مدح الله ــ تعالى ــ خلق نبيه ﷺ فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم : ٤

وقال ﷺ : { إنّ من أحبكم إلى وأقربكم منّى مجلسًا يوم القيامة أحسانكم أخلاقًا }

والخلق معناه المنهج ، أى أنْ يكون منهج حياتك فى حركتك ، وسكونك ، ووحدتك واجتماعك ، وفق مبادئ دينك وتعاليمه عندئذ تكون على خلق المسلم ، الذى يصون لسانه عن السباب واللعان والشتائم ، وخُبث الكلمات ، قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٧

وتصون يدك عن البطش الحرام ، ورِجْلك عن المشى فى المعاصى ، وقلبك عن الانشغال بها ، والصبر عليها (أى المشى عليها) ، والاستمرار على ذلك سوء خلق .

وقد قدمت إليكم أيها الشباب فى هذا الكتاب السُنَّة الحياتية للنبى ﷺ فاحرص عليها ؛ فإن لنا فيه ﷺ الأسوة الحسنة .

وضع نصب عينيك أنَّ قصص الأنبياء فى القرآن الكريم ما عرضها الله ــ تعالى ــ لكى تكون بمثابة الروايات الفنية والقصص الأدبية المعروفة ، وإنما كما قال ربنا ــ تعالى ــ : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ يوسف : ١١١

فضع نصب عينيك حوار إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ مريم: ٤١ ـ ٤٥

تأمل كيف قال له : يا أبت فى كل جملة .

وكيف قال له فى خاتمة الحوار : ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ مريم: ٤٧

ثم تأمل قول الله ــ تعالى ــ

﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ مريم: ٤٨ ـ ٥٠

وافْقَهْ هذا الدرس الذى هو من عين الأسوة الحسنة ، فَقَلَّمَا مَنْ نراه قد فقهه فى زماننا ، ووعاه من رجالاتنا ، فإن الله ــ تعالى ــ يقول لنا : إنّ إبراهيم عليه السلام لما اعتزل قومه وما يعبدون من دون الله آتاه الله وذريته من رحمته فى الدنيا والآخرة .

وكثير من الناس يزعمون أنهم إذا اعتزلوا الحرام هلكوا ، يقولون : إن الحلال ضيق قليل يقول الغاش : ماذا أفعل ، وورائى ما ورائى من الكهرباء ، والماء ، والإيجارات ، والعمال ، والضرائب ، وغيرها ، فلو التزمت بالحلال لما قمت بهذا كله .

وتقول التى تمارس الفاحشة والرذيلة : ماذا أفعل ، لو عملت عملاً حلالاً فما عسى أنْ أتقاضى ، وكيف أسد حاجة إخوتى الذين مات أبى وتركهم أمانة فى عنقى .

وكيف كنت أعالج أمى المريضة ، بل إنّ من هؤلاء مَنْ يقول : لقد عودت أولادى على مستوى معين من المعيشة .

وقد وجدنا واحدًا من هؤلاء حين خسر أمواله قام فقتل ولده ، وابنته ، وزوجته ، وحاول قتل نفسه .

زين الشيطان سوء عمله ، فقتل فَلْذَة كبده ، وحاول قتل نفسه ، لأنه تصور الحياة فى هذه الخسارة نزولاً عن المستوى المعتاد ، والنزول عن المستوى المعتاد رأى أن الفناء خير منه ، والموت أفضل من حياة فيها تركب السيارة مِنْ بعد الطيارة .

وجميع هؤلاء على خطأ وخطر عظيم ، بدليل أن الله ــ عز وجل ــ يقول : ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ مريم: ٤٨ ـ ٥٠

وهم يقولون : إننا لو اعتزلنا الحرام فسوف نضيع .

ـ وضع نصب عينيك قول أيوب ــ عليه السلام ــ ﴿ مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٣

ما قال : مَسَسْتَنِى يا رب بالضر ، فهذا درس فى الأدب مع الله ــ تعالى ــ عظيم .

واقرأ خواتيم سورة الكهف حيث فسّر العبد الصالح لكليم الله موسى عليه السلام ما رأى فى ظاهره الفسادًا ، حيث نسب خرق السفينة إلى نفسه ؛فقال : ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ الكهف : ٧٩

ونسب قصة الجدار الذى كان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما ، وكان أبوهما صالحًا إلى الله ــ عز وجل ــ حين قال :

﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ﴾ الكهف: ٨٢

فتأمل كيف قال : { وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ } أى فعل كل هذا بأمر الله ــ تعالى ــ ومع ذلك لم يقل فى السفينة : فخرقها ربك ، أو أمر ربك بخرقها ، وإنما نسب ما ظاهره العيب والإفساد إلى نفسه ، ونسب الخير ظاهره وباطنه إلى الله ــ عز وجل ــ

واللغويون يقولون : إنَّ من أسباب بناء الفعل للمجهول : صون اللسان عن نسبة شىء حقير إلى الله ــ عز وجل ــ ؛ فيقال : خُلِقَ الخنزير ، حتى لا يقال : خلق الله الخنزير ، ولا شك أن الله ــ تعالى ــ خالق كل شىء .

لكنه الأدب مع الله ــ عز وجل ــ

وضع نصب عينيك دعاء يونس عليه السلام :﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٧

لتفهم أنّ معنى التسبيح أنْ تتهم نفسك بالظلم ، فتنزه بذلك ربك عن كل نقص لا يليق بذاته المقدسة .

ونحن دائمًا ما نتعجل بنسبة السوء الذى نعيشه إلى القضاء والقدر ، نزعم أننا لا عيب فينا ، ولله در القائل .

نعيب زماننا والعيب فينا

وما لزماننا عيب سوانا

ومعظم الكوارث التى تصيبنا بنص القرآن الكريم { من عند أنفسنا } قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ آل عمران : ١٦٥

وذلك حين تعجب الصحابة الكرام من القَرْحِ الذى أصابهم يوم أحد ، بعد أنْ كانت الدولة والريح لهم ، كيف تحولت إلى الكافرين ، وأصاب المسلمين ما أصابهم ، فقال الله ــ عز وجل ــ { قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ } ، وذلك لأن الرماة تركوا أماكنهم ، وكان رسول الله ﷺ قد أوصاهم ألّا يتركوا أماكنهم أبدًا حال النصر أو حال الهزيمة .

ولكى تدفع شبهة أنّ الشباب زمان الخطيئة فَتَأسّ بالشباب الذين كانوا حول رسول الله ﷺ بمثابة الشرطى إلى جنب الأمير ، كما كان يفعل قيس بن سعد بن عبادة ، الكريم ابن الكريم ، الذى ذبح إبلاً كثيرة لصحابة رسول الله ﷺ فى السفر ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال مادحًا إياه : إنّ هذا البيت بيت الكرم والجود .

ومن هؤلاء عبد الله بن عمر رضي الله عنهما الذى قال فيه رسول الله ﷺ إنّ عبد الله رجل صالح ، وقد روى البخارى فى صحيحه أنه رضي الله عنه ، بنى بيتًا لنفسه لم يُعِنْهُ أحدٌ مِنْ خلق الله ، وكان من أكثر الناس حرصًا على التأسى برسول الله ﷺ حتى فى سكونه وحركته ، وطريقة أكله ، وذكر ابن عبد البر ــ رحمه الله ــ أنّ مَنْ كان يراه فى هذا الحرص يقول : إنّ به جنونًا ، وكان شابًا .

وكذلك تذكر أبا سعيد الخدرى وكان شابا ، الذى جـاء به أبوه ليجاهد مع رسول الله ﷺ فاسْتَصْغَرَهُ ؛ فقـال أبـوه للنبى ﷺ : لا يغرنك صغر سنه يا رسول الله ، إنه عَبْلُ العِظَامِ ,أى قوى العظام .

وتذكر جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، حيث استشهد أبوه عبد الله فى غزوة أحد ، وترك له أخوات قام على رعايتهن حق الرعاية ، وتزوج من أجلهن ثيبًا ، أى امرأة كبيرة ، سبق لها الزواج ، حتى لا يأتى بفتاة صغيرة مثلهن ، فلا تحسن رعايتهن ؛ فدعا له رسول الله ﷺ ، وكان شابًا .

وتَأسّ بأسامة بن زيد ، الذى أسند إليه رسول الله ﷺ قيادة الجيش وهو دون العشرين من عمره .

وتذكر معاذ بن جبل الذى كان فى الثامنة عشرة من عمره ، حين قال فيه رسول الله ﷺ معاذ أعلم أمتى بالحلال والحرام .

وقارن بين ذلـك وبين ألوف الشـباب فى تلك السـن ، وهم لا يحسنون الوضوء ، ولا يعرفون أركان الإسلام .

وتأسّ بالشاب الذى جاء رسول الله ﷺ يرغب فى الجهاد معه ، فقال له : أَحى والداك ؟ فلما قال : نعم ، قال : ففيهما فجاهد ، فقد جعل الوالدين ظرفًا لجهاد الابن أى جاهد فى إسعادهما وخدمتهما ورعايتهما على أكمل وجه .

وتأسّ بالشاب الذى خرج مجاهدًا إما على والديه ، وإما على أرملة مسكينة ، وإما على نفسه يعفها عن السؤال ، وجعل رسول الله ﷺ

ذلك كله فى سبيل الله ، واخرج مثله ، لتكسب من حلال ، ولا تقل إننا فى زمان البطالة : ماذا أعمل ؛ فبوسعك أنْ تعمل الكثير ، وأنْ تفرغ طاقتك فى عمل نافع ، ينفعك وينفع أسرتك ، ومن ثم أمتك .

ـ وتذكر (زيد بن ثابت) الـذى كـان مـن كتاب الوحى ، وهو دون العشرين مـن عمره ، وتعلّم اللغـات ، العبرية لغة اليهود بأمر رسول الله ﷺ ، والحبشية من بلال ، والفارسية من سلمان الفارسى ، وهو الذى وكل إليه الجمع الأول للقرآن الكريم فى عهد الصديق رضي الله عنه .

ـ وتذكر خبّاب بن الأرت مـن أوائل المسلمين الذين عذبوا فى الله ، والذى قال فيه على بن أبى طالب وقد مرّ بقبره :

رحم الله خبابًا ، أسلم راغبًا ، وهاجر طائعًا ، وعاش مجاهدًا ، وابتلى فى جسمه أحوالاً ، ولن يضيع الله أجره .

مرض خباب ، وقد كان فى ظهره بحر من أثر حريق الكفرة إياه ، روى مسلم فى صحيحه من طريق قيس بن أبى حازم قال : دخلنا على خباب ، وقد اكتوى ؛ فقال : لولا أنّ رسول الله ﷺ نهانا أنْ ندعو بالموت لدعوت به ، وقد سبق ذكر هذا الحديث فى مبحث غياب لولا من هذا الكتاب .

أرجوا لنفسى ، وأرجو لكم أيها الشباب .

أى نقـول : { لولا } هـذه ، وقـد اختفت إلا عنـد مَنْ رحم الله ـ عز وجل ـ أى أنْ نقول :

ــ لولا أنّ الله نهانا عــن قتلك أيهــا المنافق لقتلتك ، وأنْ يقول امرؤ : لولا أنّ رسول الله ﷺ نهانا عن الغش لغششت

وأنْ يقول صائم لمن سابه أو شتمه : لولا أنّ رسول الله ﷺ نهانى عن سبّك لسببتك ، وإنما أمرنى أن أقول : إننى امرؤ صائم .

وهكذا ، يجب على مَنْ يرغب فى الخطاب الدينى ، يفهمه ، ويريد أنْ يستضيء بنوره ، ويحظى بالفوز فى الدنيا والآخرة .

تذكر { لولا }الشرطية هذه ، واعمل بمقتضاها

وتذكر الشاب الجميــل خبيــب بن عدى ، الذى قتله كفار مكة غدرًا ، وسُئِلَ قُبَيــل أنْ يقتلــوه ويصــلبوه فى التنعيــم ــ لأنهم كانوا يكرهون القتل فى الحرم ــ سألوه ماذا تريد قبــل أنْ نقتلك ؟ فقال : أصلى ركعتين ، فتركوه يصلى ؛ فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم عاد إليهم ، وقال : لولا أنْ تقولــوا : لقــد أطــال فى صلاته خوفًا مــن القتــل لأطلت ، وسأله أحدهم : هل تود أنْ يكــون محمــد مكانك ؛ فقال : والله ما وددت أنْ تصيبه شوكةٌ وأنا آمن فى أهلى ؛ فقال أبو سفيان : ما رأيت أحدًا أحب أحدًا كما أحب أصحاب محمد محمــدًا !

هذان شابان فكونوا امتدادًا لهما :

روى البخارى فى صــحيحه أنّ عبــد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : بينما أنا وَاقِفٌ فى الصَّفّ يَوْمَ بَدْر نَظَرْتُ عَنْ يَمينى وَعَنْ شِمَالِى فَإِذَا بشابين حَدِيثَة أَسْنَانُهُمَا فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا ، فهمس الذى عن يمينى ، وقال : يا عم ، أين أبو جهل فى هؤلاء ؟ فقلت : وماذا تريد منه ؟ قال : بلغنى أنه كان يسبُّ رسول الله ﷺ ، وقد عاهدت الله ــ تعالى ــ ألاَّ يُفَارِقَ سَوَادِى سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا ، ثم همس فى أذنى الذى عن شمالى ، وقال : يا عم ، أين أبو جهل فى هؤلاء ؟ ؛ فقلت : وما تريد منه ؟ ؛ فقــال : بلغنى أنه كان يسب رسول الله ﷺ ، وقد عاهدت الله ــ تعالى ــ ألاَّ يُفَارِقَ سَوَادِى سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا ، فنظرت فإذا أبو جهل بين الناس ؛ فقلت : هذا صاحبكما الذى تريدان ، فانطلقا إليه ؛ فقتلاه ، وذهبا إلى النبى ﷺ ، يقول كل منهما : أنا قتلته ، فقال : ﷺ أريانى سيفيكما ، فنظر فيهما ، وقال : كلاكما قتله .

وهما معاذ بن عفراء ، ومعاذ بن عمرو بن الجموح ..

كانا من الأنصار ، لم يريا أبا جهل ، ويعرفان أنّ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وعنهما ــ مِنْ أهل مكة ، وهو يعرف أبا جهل ، فسألاه أنْ يدلّهما عليه ؛ فقد خرجا مِنْ أجل هدف ، وهذا الهدف هو قتل رجل كان يسب رسول الله ﷺ وقتلاه .

وقد روى أنّ عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال بعد أن رأى ذلك منهما : فما تمنيت أنْ أكون بين رجلين غيرهما .

فى البداية كان يتمنى أنْ يكون موقعه بين رجلين كبيرين ، أقوى منهما ، فلما رأى الصمود والإصرار ، والإقدام ، صمد موقعه بينهما وَوَلَّى هذا التمنى .

كالذى يرى شكل أى شكل لا يعجبه ، فلما يعاينه ويخابره ، ويعايشه ، يكون له رأى آخر فيه خلاف ما كان يرى أول .

وهذا معنى مفقود فى حياة الناس لا سيَّما الشباب الذين ينظرون إلى شكل الأشياء ، فيُفتَنون بالشكل ويَتَناسَوْنَ المعنى .

ويصر بعضهم على شراء جهاز جميل الشكل ، مع أنه قليل الجدوى ، ويندمون آخر الأمر على الثمن الغالى ، الذى دفعوه فيه .

ويصر الشاب على أنْ يتزوج فتاة بارعة الجمال بغض النظر عن الدين والخلق

وتكون نتيجة هذا الزواج بؤسًا ، وسوء عشرة ، وشقاقًا ، وطلاقًا فى النهاية ، إن لم تختم القصة بقتل .

وتصرّ الشابة على أنْ تتزوج الشاب الوسيم (الرّوش) وتأبى الزواج مِنْ مستقيم الخلق ، مستور الحال ، وفى النهاية تذوق الأمَرَّيْن ، وهكذا .

هذا درس من دروس هذا الحديث الصحيح الكريم .

والدرس الثانى درس الذكريات ، وخلاصته : أنّ عبد الرحمن بن عوف ﷺ تذكر ـــ فيما تذكر ـــ يوم كان واقفًا فى الصف يوم بدر ، وأكرم بها من ذكرى ، تُرضى الرب ، وتُسْعد العبد .

فهلاّ كان شبابكم شباب الذكريات الجميلة ، التى تشبه تلك الذكرى التى ذكرها عبد الرحمن بن عوف .

هلّا قال شاب ، وقد وصل إلى مرحلة الكهولة .

– بينما أنا فى صلاة الفجر إذْ قرأ الإمام آية الكهف ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ الكهف : ٣٠

فانْفَطَر قلبى ، وأحسنْت عمل كذا ، وعمل كذا .

– وهلاّ قال شاب : بينما كنت فى طريقى إلى كُلِّيَّتِى وجدت عجوزًا عاجزًا عن عبور الطريق ؛ فأمسكت بذراعه ، حتى عبرت به الطريق فى أمان ؛ فدعا لى .

– وهلاّ قال شاب : بينما كنت فى زيارة لبعض أرحامى وجدت جارًا لهم مريضًا ؛ فحملته على كتفى ، حتى نزلت به إلى السيارة ، وصحبته إلى المستشفى ، وحمدت الله أنْ وَافَقَت فصيلة دمى دمه ؛ فتبرَّعت له بدمى ، وقد عافاه الله .

ـــ وهلّا قال شاب :

لقد دعانى بعض رفاق السوء إلى سهرة ماجنة عابثة ، فتذكرت وعيد الله ـــ عز وجل ـــ فأبيت ، وحمدت الله ـــ عز وجل ـــ أن

نجانى ، وقد نصحت لهم ، وشرحت لهم أن ذلك إثم وسوء ، وأنّ الشباب لا يعنى قضاء الليل فى الشهوات ، وإنما يعنى قضاء العمر فى الطاعات .

– وهلّا قال شاب : لقد كنت جالسًا فى صحبة مِنْ زملائى وهَمَّ أحدهم باغتياب زميل لنا ؛ فذكّرته بقول الله ــ تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ الحجرات : ١٢

فليكن هذان الشابان من أسوتك ، ومِنْ مثلك الأعلى بعد رسول الله ﷺ

وإذا كان هذان الشابان قد تظاهرا على عدو الله ، أبى جهل ؛ لأنه كان يسب رسول الله ﷺ فإنّ أمام الشباب اليوم ، وإلى يوم القيامة أهدافًا ، لا تقل عن هذا الهدف ، فكل صرح يُبنى على المجد والعلم يسعد رسول الله ﷺ ، وقد جاء فى ترجمة الإمام البخارى ــ رحمه الله ــ قول أحد شيوخه : إن هذا الغلام لو رآه رسول الله ﷺ لفرح به لأنه كان شابًا معتكفًا على الكتب ، حافظًا إلى درجة أذهلت جميع الناس ، وقد سأل بعضهم ورّاقًا لهم اسمه محمد عن الدواء الذى يتناوله البخارى من أجل تنشيط ذاكرته ؛ فسأله محمد ؛ فقال : والله لا أخذ دواءً ، ثم تفكر لحظة ، ثم قال له : الآن أخبرك عن الدواء لكى تخبرهم ، إنه إدمان النظر فى الكتب ، فلو أدمن الشباب النظر فى الكتب وفهموا مافيها مع الحفظ ، لأسعدوا رسول الله ﷺ ، لأنه بعث

معلمًا ، وأول ما نزل عليه من الذكر الحكيم : اقرأ ,لكن مع الأسف الشديد يشهد الواقع بأن شبابنا على خلاف ذلك ، فهم يتعاملون مع الكتب لحظات ، ومع فنون اللعب ساعات ، ويعرفون من الجد كلمات ، ومن الهزل مجلدات .

وكل موضع يغيظ الكفار ، يخوض فيه الشباب حتى ترتقى راية الدين ، وترتفع مقامات المسلمين .

فقد قال الله ــ عز وجل ــ فى آية التوبة : ﴿ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ التوبة: ١٢٠

وما أكثر المواطئ والمواطن التى تغيظ الكفار .

ومنها أنْ يرتقى المسلمون اقتصاديًا ، وأنْ يكون شباب المسلمين قوة عظيمة ، تزلزل الدنيا بأمجادها ، وأن يفيق المسلمون من ذل الجهل ، والمرض ، والفقر ، الثالوث المدمر للحياة فى كل زمان ومكان .

وأن يرى الكفار شباب المسلمين شباب جدّ ونهضة ، وتعليم راق ، وهدف واضح ، وأنْ يغنى المسلمون عن معونات الكفار ، وأنْ يكون لهم جيش قوى ، ومصنع للسلاح عبقرى ، وأرض وارفة الظلال ، وكل يوم فى جديد .

أليس من العار أن يسمع بعضنا بعضًا يقول :

– فى الخارج يفكرون فى علاج جديد لمرض كذا .

ونظل ننتظر حتى يأتينا هذا الدواء من عندهم إنْ لم يعجل المرض بآجالنا !

وفينا عقول جبارة ، وإمكانات عظيمة ، عطّلها الهوى ، والإمساك ، والبخل ، فنحن نُنْفق الملايين على حفلات الرقص ، والمَلاَلِيم على العلم !

ومن الدروس المستفادة من حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ درس التنافس بين الشباب ، فقد همس كل من الشابين فى أذنه ﷺ وعنهما ــ وأسر إليه بما يشتهى ، وصدق الله العظيم إذْ يقول : ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ المطففين : ٢٦

فهل يتنافس الشباب فى الغاية الشريفة المشروعة ، ويسارعون إليها ؟

كما قال الله ــ تعالى ــ ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ الحديد: ٢١

أمْ أنّ كثيرًا من الشباب يتنافسون فى المعاصى ، والآثام ، وغزل البنات ، والقعود أمام الشّاشات ، وتشجيع المباريات ، وفيها يقتل بعضهم بعضًا ، ويسب بعضهم بعضًا .

الفصل الرابع

قضايا تَهُمّ الشباب

قضايا تَهمُّ الشباب :

من القضايا التى تهم الشباب *قضية تأمين المستقبل* مِنْ حيث الوظيفة التى تحقق الطموح ، ومِنْ حيث اختيار الزوج أو الزوجة ، ولكى يستضىء الشباب بالخطاب الدينى فى هذه القضية أقول : إنّ المستقبل بيد الله ــ تعالى ــ ، ولا يعنى ذلك أن الحاضر ليس بيده ، فكل شىء بيده ــ عز وجل ــ ماضيًا كان أو حاضرًا ، أو مستقبلاً ، ومع ذلك اليقين أمرنا ربنا ــ عز وجل ــ بالعمل ، فقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ الملك :

والقائل عز من قائل : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ ﴾ التوبة : ١٠٥

وحين خرج أصحاب الكهف فارِّين بدينهم ، أعدّوا للمستقبل عدّته ، فأخذوا معهم أموالاً ، بدليل أنّ الله ــ تعالى ــ حين بعثهم أخذوا يتساءلون عن المدة التى قضوها فى الكهف ، يومًا أو بعض يوم ، ثم انصرفوا عن هذا الغيب بسرعة ، وقالوا : ﴿ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ۖ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ الكهف :

قالوا : فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة .

والوَرِق : المال :

وقالوا : فلينظر أيها أزكى طعامًا .

أى : أطهر ، وأجمل ، وأطعم ، وأحلى .

وقول الفتية : أيها أزكى طعامًا دليل على أنّ هذا الدين يدعو إلى الأزكى فى كل شىء ، أى الأعلى والأطهر ، والأجمل ، ولنا أنْ نسأل : ما الذى جعل الناس يصابون بالإحباط إلى درجة أنْ يقولوا إذا سئلوا عن أى شىء : أى حاجة ، أى طعام ، أى شقة ، أى زوجة ، أى زوج ، أى كلام ، أى شىء ,

هذا ضرب من اللامبالاة ، والإحباط ، واليأس ، ولا شك أنّ هناك أسبابًا لذلك أهمها الفقر ,واليأس ,من الحصول على الأزكى .

ولا علاج لذلك إلا بالعمل ، الذى يحقق الرخاء والرجاء ,وينتقل العامل بأثره إلى أعلى مستوى فى الحياة ، وتلك دعوة الإسلام ، ألا ترى إلى قول الله ــ تعالى ــ ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ الأحزاب : ٥٢

والنبى ﷺ يقول وقوله بمثابة الاستقراء: { تُنْكح المرأة لجمالها ولمالها ولحسبها ولدينها ؛ فاظفر بذات الدين }

ولا يعنى ، كما يفهم الكثيرون خطأً ــ أنْ تكون ذات الدين دميمة ، أو فقيرة ، أو غير ذات حسب ونسب .

كما لا يعنى قوله ﷺ { إنْ جاءكم مَنْ ترضون دينه وخلقه فزوجوه } أنْ يكون صاحب الخلق والدين بائسًا فقيرًا ، أو دميمًا .

والله عز وجل يقول : ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ النور: ٢٨

فالأزكى أنْ ترجع إذا قال لك رب البيت الذى أنت زائره : ارجع .

فالرجوع أزكى لك منْ أنْ تدخل عليه وهو غير مهيأ لاستقبالك ، أو أنْ ترى عنده شيئًا لا يَسُرك ، ونحو ذلك .

ومن القضايا المهمة التى تُهم الشباب قضية اختيار الزوج أو الزوجة ، وللخطاب الدينى فى تلك القضية محوران .

الأول : توفر القدرة على الزواج ، ماديًا ، ونفسيًّا .

وبهذا فسرت البَاءَة فى قول النبى ﷺ { يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة ؛ فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ؛ فإنه له وجاء } ، أى وقاية ، أى لابد من توافر المال اللازم لإنشاء بيت جديد سعيد ، وتحقيق حياة كريمة .

والثانى : الاختيار على أساس من الدين ، والدين ليس مجرد شكل ، وإنما هو منهج حياة ، فمن الدين عفة اللسان وإيثار العزة والكرامة على الذل والخضوع ، وحسن العشرة ، وكتمان السر ، ورعاية الأهل ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، أى أنّ الدين المعاملة ، وكثير من الناس فشلوا : لأنهم اختاروا على أساس من الدين الشكلى ، أى الذى ترى صاحبه على حقيقة المسلمين ، وهو لا يحسن قراءة الفاتحة ،

ولا يعرف مقتضى الإيمان ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : { إنما بعثت لأُتَمِّم مكارم الأخلاق } .

– ومن القضايا المهمة بالنسبة إلى الشباب قضية الإحساس بالاضطراب ، ويظن كثير من الناس أنّ تلك أمراض نفسية ، وأنّ طبيبها ومعالجها طبيب أمراض نفسية ، ولا بأس بذلك إنْ كان بهذا الشاب مرض نفسى حقيقى .

أما أنْ يكون وهمًا ، وهذا هو الأعم الأغلب فإنّ علاج الوهم لا يكون إلا باليقين .

واليقين أنّ الله ــ عز وجل ــ خلق النفوس ، وألهمها فجورها ، وتقواها ، ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ الشمس: ٧ ـ ٨

وقال عز وجل : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ البلد: ٨ ـ ١٠

فلابد أن تضع المسألة التى تسبب لك قلقًا واضطرابًا ، فى ضوء الموضوعية التى دعا إليها الدين .

وأهم ما فيها أنّ البحث يجب أنْ يكون فى الظاهر ، فلابد من وجود سبب ظاهر للقلق ، والاضطراب ، وغيرهما من عوارض النفس ، والدليل على ذلك أن النبى ﷺ .

رأى امرأة تبكى ؛ فسألها :

– ما الذى يبكيك ؟ أجائعة أنت ؟ أعارية أنت ؟ ,فذكرت له أنّ الناس فَرّقُوا بينها وبين ابنها ، وكانا معًا فى السبى ؛ فأعاد رسول الله ﷺ إليها ابنها ، ونهى عن التفريق بين الأم وابنها ، أى أنّ الرجل إذا كان فى حوزته من غنيمته أم وابنها ، كان عليه ألا يبيع أحدهما دون الآخر ، إما أنْ يبيعهما معًا ، وإما أن يبقى عليهما معًا ؛ رحمة وحنانا ، وهذا من عظمة الدين .

لم يقل لها ﷺ هل بكِ مَسٌّ من جنٍ ؟ وهل يعاشرك ؟ وماذا يريد لكى يخرج من إصبعك دون أنْ يضرك !

إلى غير ذلك من الشطحات التى عاشها الناس فى زماننا ، زمان العلم ، والتقدم فى كل المجالات .

وما قالت له المرأة : لا أجد سببًا لبكائى يا رسول الله !

فلكل شىء سبب ، لكن كثيرًا من الناس يرى أشياء كثيرة لا سبب لها ، وهؤلاء قسمان :

(أ) قسم يرى ذلك مطلقًا ، هكذا ، يبكى بلا سبب ، ويضحك كذلك بلا سبب ، ويشعر بالضيق بلا سبب ، ويشعر بانقباض قلبه ، بلا سبب .

حتى إنه يقول لك : لا أعرف سببًا لدخول كلية الطب ، ولا سببًا لتفوقى فيها ، ولا سببًا لكثرة مالى ، ولا سببًا لكذا ، أو كذا ، كل شىء حدث هكذا ، إنها الصدفة ، لا غير ، إنها الدنيا ، وهكذا .

(ب) وقسم يرى ذلك بسبب المَسّ الشيطانى ، وركوب الجن ، ودخوله فيه ، وقد شاعت هذه المسألة ، وشاع معها كذلك مسألة العلاج بالقرآن .

والعلاج بالقرآن مضمون ؛ إذْ إنه خير علاج ، ولكن ليس على الشائع المعروف من أنْ يقرأ إنسان على إنسان ؛ فإذا به ينتفض ويصرخ ، وينطق بلسان طفل ، أو امرأة ، أو بلغة غير مفهومة ، هى السريانية كما يقولون ، وله مطالب ، والقارئ معه عصابة يضربون المقروء عليه ، ومنهم من قتل .

العلاج بالقرآن الكريم :

إنّ العلاج بالقرآن الكريم معناه أنه منهج حياة ، فمن اعْوَجّ عن هذا المنهج كان علاجه فى الكتاب الكريم الذى لا ريب فيه ، فإن امتثل ، وعرض حاله على كتاب ربه ــ عز وجل ــ فبها ونعمت ، وكان ذلك دليل إيمانه ، وإنْ طلب العلاج فى غيره ، فسوف يظل عمره مريضًا ، ولا أمل فى شفائه أبدًا ، ومن ثم قيل : (مَنْ طلب الهدى فى غير القرآن الكريم فلا هداه الله أبدًا)

وقد قال الله ــ عز وجل ــ : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الإسراء: ٨٢

شفاء من كل داء يتعلق بالنفس الأمارة بالسوء ، وبالمعاملة بين الناس ،

وقد قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ فصلت : ٤٤

وقال عزّ من قائل : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ الإسراء: ٩

وقال تعالى : ﴿ دِينًا قِيَمًا ﴾ الأنعام : ١٦١

ومن ثم أقول للشباب : إنّ إقامة الدين بكم معشر الشباب ؛ معناها أنْ تتخذوا من القرآن الكريم علاجًا لقضايا حياتكم ؛ فإنّ القرآن الكريم ، كما قال ربنا : يهدى للتى هى أقوم ، أى للتى هى أفضل وأحسن ، وأعلى ، ومن تلك القضايا التى يقام بها الدين

{ تقوى الله عز وجل }

قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾ الأحزاب : ٧٠

واعتقد أنّ ارتباط القول السديد بتقوى الله ــ عز وجل ــ يجعل الشباب يعيد النظر فى سلوكه مع الكلام ، فلا يقيم الدين مَنْ كان معظم كلامه هزلاً ، ونكتًا ، وسخرية ، واستهزاء ، وفرقعات من الضحك ، ولغو الحديث ولهوه ، ويتخذ من كلمات الأغنيات الساقطة قاموسًا للغة حياته .

عرف الإسلام المزاح ، ولكن على حق ، فقد كان عليه الصلاة والسلام ، يمزح ، ولا يقول إلاّ حقًّا .

وعرف الإسلام الترفيه ، ولكن على قدره .

إننى أتصور اجتماع الشباب ، منذ اللحظة الأولى ، حين ينادى بعضهم بعضًا فى نادٍ ، ونحوه ، هذا يصرخ ، ويقول (يا .... يا ابنى ..... انت يا واد ، يا صاصا ــ لمن اسمه مصطفى ــ ، وهذا يقول : أليس هذا فلانا ابن كذا ، وثالث يُصَفِّر ,وحين يقبل بعضهم

على بعض ، ويحتضن بعضهم بعضًا ، ويضرب بعضهم بعضًا ، ويحاور بعضهم بعضًا ، ومحور المحاورة هزار ومزاح ، وكلام فى الشَّات ، والبنات ، وهل رأيت أغنية فلانة .... كانت ترتدى فستانًا يا ابنى ....

أو ..... وآ.....

– لا ، لا إنك لم ترها فى الكليب الجديد .

– هذا هو الجديد (يا اهبل) .

– أنت متخلف ، هناك الجديد ، وربنا .... الذى صوره فلان ، وأخرجه فلان ، وتكلف كذا مليونًا ، إنه صاروخ ؛ وعال جدًّا .

– لا ، لا مهما فعلت فلن تصل إلى مستوى فلانة التى تحاول أنْ تقلدها ..... وقد أعدت عملية تجميل فى بلد كذا ، وأنفقت عليها كذا

– وأنت لم ترها قبل العملية ... لم تتغير كثيرًا ، لكنها كانت أقرب إلى القرود منها إلى الأنثى مِن بنى آدم فضلاً عن المطربة أو الراقصة الجميلة .

– راقصة ، وهل تراها راقصة ؟ أين هى ؟ وأين رقص فلانة يا ابنى ... إنها وتّانة

– والله إنك لا تفهم ، قل له : يا فلان ، احكم أنت .

– ما قلتم فى درس الهندسة الفراغية ؟ قال ذلك أحدهم .

– دعنا من هذا النكد .

الكلام فى العلم نكد !!!

فكيف يقام الدين بهؤلاء الشباب .

دعك من هذا ، واتجه إلى شباب ، أولى وجوه نضرة ، اتّجهوا إلى المساجد ، وصادقوا الشيوخ ، والتفوا حول دروس المساجد الدينية ، ترى طائفة منهم على خير واعتدال ، وترى أمما منهم على عنف وشدة ، وعبوس ، وفهم خاطئ للدين ، فما على هؤلاء يقام الدين ، ولا على هؤلاء يقام أيضًا .

إنّ القول السديد معناه قول الصدق ، والحق ، والإنصاف ، والإيجاز البليغ المعبر عن المعنى المقصود ، دون خلل ببعضه ، أو إحداث عيب فى لفظه

وقد قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ التوبة : ١١٩

والصدق الذى ينبغى أنْ يتحلى المسلمون خصوصًا الشباب هو من أهم دعائم إقامة الدين ؛ لأنّ الصدق فى سياق البناء ــ كالصلب المتين ، ولأن الكذب عين الزَّبَد ، الذى هو جفاء ذاهب ، لا يمكث فى الأرض ، قال الله ــ تعالى ــ فى آية الرعد : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ

فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ الرعد: ١٧

٢- وقضية الاستجابة من أهم قضايا إقامة الدين بالشباب حيث إنّ الاستجابة لله وللرسول ، وللداعى إلى الحق .

وبعض الناس ألبسوا على كثير من الشباب تلك القضية ؛ فأفهموهم أنّ الاستجابة عين التسخير ، وأننا لسنا مسخرين ، (بهائم) نقول : نعم ، حاضر ، ولا رأْى لنا ، ولا فكر ، ولا عقل ، ولا ... ولا ، فلابد أنْ نعترض ,لابد أنْ نعمل عقولنا ، وأنْ يكون لنا من رأى ، وأنْ تكون لنا كلمة ..... وهذا من التخبط ، والتخبط عين العمى .

إنّ لك رأيا ، وفكرًا ، وعقلاً ، وقلبًا ، ولن يسألك الدين أنْ تلغى رأيك وتدوس على عقلك ، وتلعن قلبك ، إنما زكى ذلك فيك ، ولن تشعر بأنك زكى إلاّ بالاستجابة لله ــ عز وجل ــ الذى خلقك من عدم ، ورزقك ، وهداك ، وبرحمته نجاك ، وهو يحرسك فى يقظتك ، وفى منامك ، وإذا كنت فى مخاطر ضَلَّ مَنْ تدعو إلاّ إياه .

فالاستجابة لله عين إعمال الرأى والفكر ، والإحساس بالقلب ؛ لأنها استجابة للحق ، الذى آمنت به وكذلك الاستجابة للرسول ﷺ الذى بعث رحمة للعالمين ، وأنت جزء من العالمين ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٧

واستجابتك للداعى إلى الحق من والد أو والدة ، أو أخ ، أو صديق ، أو ولى أمر ، أو إمام ، إنما هى استجابة للدعوة التى إنْ

أعملت فيها عقلك وجدتها راجحة ، وإن أعملت فيها قلبك وجدتها ناطقة بالحياة

فأيَّة غضاضة فى الاستجابة للنور ، قال الله ــ عز وجل ــ فى آية الرعد : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ الرعد: ١٩

ومن تلك اللوحة الرائعة التى رسمتها آيات سورة الرعد تتبين لك دعائم إقامة الدين التى يقال لك فيها (عرفت فالزم) .

حيث يقول تعالى فى تلك الآيات (٢٠-٢٢) .

﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

وكما تحب أنْ يكون الكلام فى نقاط محدودة ، أذكر لك تلك الدعائم ، ثم أتبعها بشىء من التفصيل ، فأقول :

١- الوفاء بالعهود لا سيَّمَا عهد الله ، دون نقصها .

٢- والعمل بما أمر الله به من عبادة ومن معاملة .

٣- وخشية الله ــ تعالى ــ فى السر والعلن .

٤- والخوف من سوء الحساب يوم الدين .

٥- والصبر ابتغاء وجه الله ــ عز وجل ــ

٦- وإقامة الصلاة .

٧- والإنفاق من مال الله سرًا وعلانية .

٨- ومقابلة السيئة بالحسنة .

- والوفاء بعهد الله يتعلق به أمران .

الأول : أنْ تفى بما عاهدت الله ــ تعالى ــ به من نحو قولك ، إنْ نجحت لأكونَنّ من الصالحين ، وإنْ شفيت من مرض فللّه على كذا ، فلا تكن كالذين قال الله فيهم وهم المنافقين : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ التوبة: ٧٥ ـ ٧٧

والثانى : أنْ تفى بما عاهدت عليه الناس ، فوفاؤك بما عاهدت عليه الناس من الوفاء لله ــ عز وجل ــ قال الله ــ تعالى ــ فى أول آية من سورة المائدة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾ المائدة: ١

وقد قال الله ــ عز وجل ــ فى آية الأنفال : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الأنفال : ٥٨

- ومما أمر الله به أنْ يوصل ,وهو دليل على خشية الله ــ عز وجل ــ والخوف من سوء الحساب .

- العمل لا الكسل والتطفل .

- والتوكل على الله لا التواكل .

- وتعظيم شعائر الله .

- وصلة الأرحام .

- وإجابة ذى الحاجة الملهوف .

- وحسن الجوار .

- وبر الوالدين .

- والرحمة بالضعفاء .

- وتوقير الكبار .

- وبذل أقصى الجهد فى الطاعات .

- وحسن الخلق .

- وعدم نهر السائل .

- وعدم قهر اليتيم .

- وعفة اللسان .

- وحفظ الفروج إلاّ على الأزواج .

– وعدم السخرية من الناس ، والاستهزاء بهم .

– والتوسط فى الإنفاق ، فلا بخل ولا إسراف .

– وحفظ الأمانة ، وأداؤها إلى أهلها .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ النساء: ٥٨

– والصبر لوجه الله ــ تعالى ــ هو الصبر الجميل ، الذى لا تكون فيه شكاية الخالق ــ جل وعلا ــ للمخلوق .

وهو الصبر الجميل ، قال تعالى : (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) .

ويزداد معنى الصبر لوجه الله ــ تعالى ــ وضوحًا فى كل موضع ، أنت فيه قادر على الضجر ، وتكسير الدنيا ، والانتقام ممن ظلمك ، وقد عرف الإسلام الصبر عند المقدرة .

– وإقامة الصلاة أنْ تُحسن الطهارة قبلها (الوضوء أو التيمم) وأنْ تؤديها فى أول الوقت ما لم تكن ذا عذر ، وأنْ تخشع فيها ، قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ المؤمنون : ١ ـ ٢

ومعنى الخشوع فى الصلاة ألا تتحرك فيها ، بل تسكن ، والدليل على ذلك قول الله ــ ربنا : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ ﴾ فصلت : ٣٩

وأن تنهاك صلاتك عن الفحشاء والمنكر ، قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾ العنكبوت : ٤٥

ولطالما جاء ذكر الإنفاق من مال الله ــ تعالى ــ الذى جعلنا مستخلفين فيه مقرونًا بالصلاة ، قال العلماء فى ذلك : لأنه لا ينفق فى الغالب إلّا المصلون .

– ودرء السيئة بالحسنة من دعائم إقامة الدين ؛ لأن معناه فتح أبواب العفو والسماحة أمام جميع الناس ، ودعوة المُسيئين إلى الصلاح بطريقة عملية ، شاهدت بنفسى رجلاً أساء إلى رجل فى لحظة عمى ، وانفعال ، فخاطبه بالحسنى ، وقبل أنْ ينصرف بكى الذى أساء إليه وسأله العفو عنه ، وأخذ يُقبِّل رأسه ؛ فقلت : صدق الله العظيم القائل : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ فصلت : ٣٤

كما أنّ درء السيئة بالحسنة من آيات مكارم الأخلاق ، التى من أجل إتمامها بُعث ﷺ فقد قال : { إنما بُعثت لأُتمِّمَ مكارم الأخلاق } .

ومعناها كما قال ﷺ أنْ تَصل من قطعك ، وأنْ تَعفو عمن ظلمك ، وأنْ تُعطى مَنْ منعك .

ولا شك أنّ أمًا من الناس لو رأوك على هذا الخلق ؛ فسألوا : مَنْ ذاك ؟ فقيل : إنه مسلم ، سَرَّهُم ذلك إن لم يدخلوا فى الإسلام بسببه .

فتكون قد أقمت الدين بإعلاء صرحه عملاً لا قولاً ، وبإضافة آخرين إليه ، ولأن يهدى الله على يديك رجلاً واحدًا خير لك من الدنيا وما فيها .

أرأيت كيف يكون العلاج بالقرآن ؟

إنه يعالج فيك نفسًا تميل بفطرتها إلى السكون ؛ فإذا بها تتحرك إلى إقامة الصلاة ، وبناء الصروح ، ويعالج فيك نفسًا تميل بفطرتها إلى الشح والإمساك فإذا بها تنفق ، ويعالج فيك نفسًا تميل بفطرتها إلى الانتقام ممن أساء إليك فإذا بك تدفع الإساءة بالإحسان ، والظلم بالعفو ، والقطيعة بالصلة .

والاستقامة من قضايا العلاج بالقرآن الكريم .

بدليل قول الله ــ تعالى ــ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ فصلت: ٣٠

والله ــ عز وجل ــ يقول : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ هود: ١١٢

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ الشورى : ١٥

وقد سئل رسول الله ﷺ عن قول فى الإسلام جامع مانع ؛ فقال لمن سأله : { قل آمنت بالله ــ تعالى ــ ثم استقم }

ولعلك تلاحظ معى أنّ من الخلل الذى لا يبشر بإقامة الدين أنْ تجد المرء مستقيمًا على منهج الله ــ تعالى ــ ثم تراه قد انقلب رأسًا على عقب .

وأنْ ترى الفتاة قد غطت رأسها فى رمضان وحين ولّى رمضان عادت سافرة متبرجة .

وأنْ ترى للناس عهدًا بالقرآن الكريم فى رمضان ، أو فى غيره ثم لا ترى لهم به بعد ذلك من عهد ، وقد سئل رسول الله ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله ــ تعالى ــ فقال : أَدْوَمُهَا وإنْ قَلّ ،

والدوام على الاستقامة عين الإيمان بالله ــ عز وجل ــ

ولا شك أنك معى فى أننا لو استقمنا خصوصًا الشباب فى أعمالنا لنهضنا بأنفسنا ، وبأمتنا ، فإننا لو استقمنا على أعمالنا لما رأينا إلاّ وفرة فى الإنتاج ، تكفينا وزيادة ، ولما احتجنا إلى مد أيدينا إلى غيرنا ، وما كان هذا حالنا بحال .

إن كثير من الناس يستقيم ، إن كان فى أول عهده بالوظيفة ، ثم بعد ذلك نراه قد انحرف عن تلك الاستقامة ، فَتَرَتْ هِمَّتُهُ ، *وتوارى نشاطه ، حتى فى الحياة الزوجية ــ مع الأسف .*

ترى الزوجين يجتهد كل منهما فى إسعاد صاحبه فى أول العهد بالزواج ، ثم يخمل كل منهما ، ويحل الصمت محل الكلام ، واللامبالاة محل الاهتمام .

وفى استذكار الدروس وتحصيل العلم تجد الكثير من الطلاب يمشون على سطرٍ ، ويتركون سطرًا ، أو سطرين ، لا عهد لهم يدوم على الكتاب ، بحيث يقعدون ، ويعتكفون عليه مدة من الزمن تتيح لهم أنْ ينهلوا من فيضه ، وأنْ يجمعوا منه المعومات ، التى تكسبهم قدرة على التفكير العلمى الصحيح فضلاً عن اجتياز الامتحانات التى يشكون منها مُرّ الشكوى برغم سهولتها عند الذين استذكروا دروسهم ، وكان لهم عهد دائم بالكتاب .

ومن قضايا العلاج بالقرآن قضية التطلع إلى ما عند غيرنا الذى قد يؤدى إلى الاستهانة بما عندنا من نعم الله ــ عز وجل ــ

فقد قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ طه : ١٣١

والشاب الذى عيناه على طول الطريق على السيارات يقول لمن يجلس إلى جواره : انظر إلى هذه السيارة ,إنّ ثمنها كذا ، وإلى تلك ، هذه أحدث ، وأفخم ، وثمنها كذا ، لا التى بين أيدينا ، أو لا هذه الكئيبة .

لاشك أنه لن يُبْصِر طَرِيقَهُ ، وقد يصنع حادثًا مروعًا ، وقبل ذلك وَبَعْدَهُ سَوْفَ يزدرى (يحتقر) نعمة الله ــ تعالى ــ التى عنده ، وواجب عليه أنْ يشكر الله ــ تعالى ــ حتى يزيده ، قال عز وجل : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٧

الفصل الخامس

الإجابة عن أهم أسئلة الشباب

الإجابة عن أهم أسئلة الشباب :

س : لماذا خلقنا الله ــ عز وجل ــ ؟

ج : خلقنا الله ــ عز وجل ــ من أجل أنْ نعبده ، قال الله ــ عز وجل ــ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات : ٥٦

والعبادة منها إقامة شعائر الدين ، كالصلاة والصيام والزكاة والحج ، ومنها العمل ، وإتقانه ، وتجويده ، فإن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أنْ يتقنه ، كما جاء فى الحديث الشرف ، والله ــ عز وجل ــ يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ الكهف : ٣٠

ما قال الله ــ تعالى ــ : (إنا لا نضيع أجر من عمل) وإنما قال : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ .

وهناك فرق بين التعبيرين ، يجب على الشباب أنْ يفهموه ، فما كل عامل بمتقن أو محسن عمله ، هناك مَنْ يعمل كثيرًا ولكنه لا يحسن ما يعمل ؛ فقد بذل بذلك جهدًا ، وضيع وقتًا ، وما أكثر الذين يعملون ولا يحسنون ، ولا يتقنون ما يعملون ، وهؤلاء كسدت تجارتهم ، وتأخرت أحوالهم ، فى الوقت الذى تقدم فيه غيرهم ، ولا يتأتى الإحسان إلاّ عن علم وخبرة ، ودليل ذلك أنك ترى صاحب الصنعة الخبير بها يجريها فى أقل مدة وعلى أحسن نتيجة ؛ لأنه بها خبير ،

وبأسرارها محيط ، فلا تزعم أن الله ــ تعالى ــ خلقنا عبثًا ، معاذ الله الحكيم أن يخلق شيئًا إلا لحكمة ؛ فلا تجعل للشيطان عليك سبيلاً ، ولا يستجيب لوسوسة النفس ، وأحاديث الخرافة ، أو البيان الدال على الحيرة التى تعترى الإنسان بعض الوقت ، حين يقول : جئت لا أدرى من أين جئت ، أو أتيت لا أدرى من أين أتين ، لكنى أبصرت طريقًا فمشيت ، فأنت تعلم كما علمك الله ــ تعالى ــ من أين أتيت ، قال الله ــ تعالى ــ

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ ﴾ الطارق: ٥ ـ ٩

والله ـ تعالى ـ يقول : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٥

فالحكمة التى خلقنا الله ــ تعالى ــ من أجلها هى العبادة ، وهى كما شرحت لك ، إقامة شعائر الدين من صلاة وزكاة ، وعمل يحقق الرفاهية فى الحياة ، ويسعد الناس ، ومن قبل يسعد صاحبه الذى عمل كما قال ﷺ يعمل ، فينفع نفسه ويتصدق

وقد قال ﷺ : { ابدأ بنفسك أولاً ، ثم بمن تعول } :

س : كثيرًا ما يشعر الشباب بالملل والسآمة والضيق ، فما سبب ذلك ؟ وما علاجه ؟

كان رسول الله ﷺ يتخول الناس بالموعظة خشية السآمة ، وهذا الدين لا يدعوا إلى السآمة والملل ، وإنما يدعو إلى النشاط ، والحيوية ،

بل إلى ما يزيد منهما ، لم يستثن من ذلك شباب ، فالسآمة والملل مما يعترى الصغير والشاب ، والكبير ، وقد قال الله ــ عز وجل ــ

﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ المزمل : ٢٠ وهو عز وجل لا يكلف نفسًا إلاّ وسعها ، فما كان فى وسع الإنسان المكلف لا يسبب له مللاً ، ولا سآمة ، والصلاة فى أحلى صورها صلاة الجماعة ، والأصل الأصيل فيها التخفيف ، قال ﷺ ، فيما روى عن البخارى وغيره :{ مَنْ أَمّ بالناس فليخفف ؛ فإنّ منهم المريض والمسافر وذا الحاجة } .

وما كان التخفيف إلاّ دفعًا لتلك السآمة التى تعترى الإنسان .

كذلك جاء توجيه الشرع فى زيارة المريض ؛ فدعا إلى أنْ تكون زيارة خفيفة ، حتى لا يثقل الزائر على المزور حال مرضه .

وهى كذلك بالنسبة إلى الصحيح المعافى ، ألا ترى إلى الذين دعوا إلى وليمة رسول الله ﷺ فأطالوا الجلوس عنده بعد تناولهم طعامه ، فنزل فيهم قول الله ــ تعالى ــ من سورة الأحزاب الآية (٥٣)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن

تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ الأحزاب : ٥٣

والزائر المدعو إلى طعام إذا أكل ، وأطال البقاء ,عند مَنْ دعاه – سبَّبَ له السآمة والملل ، ألا ترى إلى قول الله ــ عز وجل ــ : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ ﴾ .

فلاشك أنّ إطالة الزائر تسبب الملل والسآمة منه ، بخلاف الذى يتأثر بالهدى النبوى ، والمأثور السوى : (زر غبا تزدد حبا) .

والفراغ كذلك يسبب الملل ، ومن ثم كان عليكم أيها الشباب أن تستغلوه وتستثمروه فيما ينفع ويفيد .

وكثيرات من الزوجات خصوصًا الشابات يقلن : إننا لا نعمل ، والقعود فى البيت يسبب لنا الملل والسآمة ، وهذا صحيح لمن هى على منوال قول القائل : (ما نبيت فيه نصبح فيه) .

أما العاقلة من النساء فهى ترى جديدًا كل يوم تعمله ، من العناية بالبيت ، وتنظيفه ، وإعادة ترتيبه ، وصناعة الجمال فيه ، وفى كل ركن من أركانه موطن من مواطن التغير والتجديد ، وهناك مصلى فى البيت ، ومعتكف ، وهناك القراءة ، والكتابة ، وتربية الأولاد ، وتدبير شئون الزوج ، عشرات الأعمال ، كيف تقول فى ظلالها امرأة عاقلة مكلفة : أنها تشعر بالملل والسآمة ، وتود الخروج من البيت .

وقد باتت مسألة البيت هذه فى حاجة إلى معالجة ، فالله ــ عز وجل ــ يقول : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ النحل : ٨٠

والسكن معناه : اطمئنان النفس ، واستقرارها ، ولا اطمئنان ولا استقرار فى ظل الملل والسآمة بحال من الأحوال ، فالسكن ليس معناه فقط أن تهدأ الحركة ، أو أنْ ينام الإنسان ، وإنما هو كما ذكرت سكينة النفس ، وهدوء حال ، واستقرار نساء ورجال .

وقد كنا فى زمان الطلب نقول : إذا جعنا : لقد اقتربنا من البيت ، وإذا عطشنا : لقد اقتربنا من البيت ، وإذا سقط من قميصنا زر قلنا : لقد اقتربنا من البيت ، وإذا جرحنا قلنا : لقد اقتربنا من البيت : وهكذا ، فقد كان فى البيت طعامنا ، وشرابنا ، وما يصلح ثوبنا ، وما يداوى جرحنا ، فضلاً عن إحساسنا بأنّ فيه أُمَّنَا وأبانًا وإخوتنا .

قبل زمان الفرار من البيوت ؛ كان كل شىء يدعونا إلى البيت ، كان البيت حياتنا ، وموطن استقرارنا ، ومستراح أبداننا ، ونفوسنا ، ومستودع أسرارنا ، وأشيائنا .

قبل أنْ نرى بيوتًا كالقصور ، وليس فيها لقمة ، ولا شربة هَنِيّة ، ولا نفوس سوية .

وحتى لا نشعر بالسآمة والملل بأنْ تملأ فراغك بالعمل ، وعمرك بالأمل تحرك فى طاعة الله ــ عز وجل ــ لأن الحركة فى طاعة الله ــ عز وجل ــ تكسو الطائع بهجة ، وتدخل على قلبه السرور ،

والسعادة ، ولذلك ورد فى الحديث الصحيح قول النبى ﷺ { إذا سرتك حسنتك ، وساءتك سيئتك فأنت مؤمن } .

وما أكثر الطاعات التى تدخل على قلبك السرور ؛ فلا تشعر بالملل والسآمة ، ومنها .

١- أنْ تكون فى طاعة والديك ، وأنْ تقضى لهما حاجاتهما .

٢- وأنْ تزور أرحامك ، وتصلهم بحسب حالك وحالهم ، فقد ذكر العلماء أنّ صلة الأرحام بحسب الحال ، فقد تكون بالسؤال والاهتمام ، وليس شرطًا أنْ تكون بالمال .

٣- وأنْ تعين ذا الحاجة الملهوف و وما أكثر ذوى الحاجات فى كل زمان ، لا سيما زماننا .

٤- وأنْ تشارك إخوانك فى تنظيف حَيِّك الذى تسكن فيه ، وتعمل على تشجيره . وتخضيره ، وإزالة الأذى منه ، والقاذورات ، وتعمل على تنميته ، والنهوض به .

٥- وأنْ تقرأ ؛ فأول ما نزل من الذكر الحكيم قول الله ــ تعالى ــ ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ العلق : ١

٦- واكتب ؛ فإن الكتابة قيد العلم ، وقد قيل من قديم : العلم صيد والكتابة قيده .

********* *********

قَيِّدْ صيودكَ بالحبالِ الواثِقَة :

٧- واحضر دروس العلم النافعة ، التى يؤديها علماء لا هواة .

٨- واسمع المفيد من تلك الدروس ، واتبع سبيل مَنْ أناب إلى الله ، ولا تتبع سبيل المفسدين ، الذين يبدون لك أول الأمر ، وكأنهم فرسان الحياة ، ثم يظهرون بعد حين ، وقد ألقوا فيك مذاهب البائسين ، القانطين من رحمة الله — عز وجل —

وهم كالدنيا التى قيل فيها

هى الدنيا تقول بملء فيها

حذار حذار من بطشى وفتكى

فلا يغرركمو منى ابتسامٌ

فقولى مضحكٌ والفعل مُبْكِ

٩- وتتره بقدر ، فإن ابن عبد البر — رحمه الله ، قد ذكر فى موسعته (التمهيد) أنّ مما يستفاد من حديث *بئر أريس* التى كان النبى ﷺ يذهب إليها ، ويستريح — جواز أنْ يتتره أهل العلم فى البساتين — والدين ليس بالعصا والسكين ، والقلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، وقد ورد أنّ الصحابى حنظلة رضي الله عنه شعر بحبه الدنيا عندما عاد إلى ولده وزوجه ، ورأى أنّ ذلك فيه هَلاَكه ، فأخذ يقول : هلك حنظلة .. هلك حنظلة ، وعاد إلى النبى ﷺ وبيّن له أنه عندما يكون عنده

يشعر بالرغبة فى الآخرة ، وقوة الإيمان ، وعندما يعود إلى ماله وولده ، وزوجه يقل هذا الإحساس عنده ، فقال له ﷺ .

لو أنكم تكونون على الحالة التى تكونون عليها عندى لصافحتكم الملائكة ، إنما هى ساعة وساعة .

١٠- ومارس الرياضة التى تهواها ، فيصح بدنك ، ويسلم عقلك ، وقد شرعت الرياضة فى الإسلام من أجل تنمية العقول بتنمية الأبدان ، فالعقول السليمة فى الأبدان السليمة ,

١١- وتقرب إلى الله — عز وجل — بالنوافل ، وذلك بعد أداء الأركان ، فقد ورد أنّ الله — تعالى — يقول : ما تقرب إِلى عبد بأفضل مما افترضته عليه ، ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإن أحببته كنت له سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استغفرنى لأَغْفِرَنّ له .

فَصُم يومًا ، أو يومين كل أسبوع ، وَصَلِّ ركعتين أو أكثر بالليل ، واعلم أنّ مَنْ كان الله سمعه وبصره ، ويده ورجله ، فهيهات أنْ يشعر بالملل والسآمة !

س : أحيانًا يخالطنى شك فى الذات الإلهية ، ولا أصرح بذلك ، ولا أنطق به ، وذلك يضايقنى ، ويشعرنى بأنى خرجت من الدين ، فماذا أفعل ؟

ج : ذلك وارد ، بدليل أنّ النبى ﷺ أخبرنا بأنّ الشيطان يأتى أحدنا ، ويسأله عمن أوجده ، فيقول أبى ، فيسأله : ومن أوجد أباك ؛ فيقول : جدى ، وهكذا ، إلى أنْ يقول الإنسان للشيطان : آدم ؛ فيسأله : ومن أوجد آدم ؟ فيقول : الله : فيسأله : ومن أوجد الله ؟ ، عندئذ : يستعيذ الإنسان بالله من الشيطان الرجيم

والله ــ عز وجل ــ أول بلا ابتداء ، وآخر بلا انتهاء ، فلا أول قبله ، ولا آخر بعده ، هو الحى الذى لا يموت ، قال عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ الحديد: ٣

وقال تبارك اسمه : (وتَوَكّل على الحى الذى لا يموت) ، وهو سبحانه وتعالى الحي القيوم ، الذى تقوم السماوات والأرض جميعًا ومن فيهن بأمره ، يمسك السماوات أنْ تقع على الأرض إلا بإذنه ، فإذا حدث مثل هذا السؤال داخلك ؛ فلا تستغرب ، وإنما ادْفعه بالاستعادة بالله من الشيطان الرجيم ، وبالعلم الذى جاء به الذكر الحكيم .

فالله واحد ، قال الله ــ تعالى ــ ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأنبياء : ٢٢ ،

والله ــ عز وجل ــ يُطْعِم ولا يُطْعَم ، قال ــ عز وجل ــ فى آيات النمل (٦٠-٦٤) : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

س : عندى وسواس قهرى ، فكيف أتخلص منه ، إنه يزعجنى إلى درجة الجنون .

ج : مَنْ قال لك : إنّ عندك وسواسًا قهريًا ؟ إنْ كان طبيب هو الذى قال لك ذلك فعلاجك عنده ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : { تداووا عباد الله ؛ فإن الله ما أنزل داء إلا أنزل معه الدواء }

أمّا إذا لم يقل لك به طبيب ، فقد يكون ذلك من وسوسة الشيطان ، وقد قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ فصلت: ٣٦

وقد يكون عندك وسواس ، وعلاجه سهل جدًّا ، أنْ تعمل الشىء مرة واحدة ، ثم لا تلقى لك بالاً بالوسوسة ، بمعنى توضأ ، واغسل كل عضو من أعضاء الوضوء مرة ، أو مرتين ، أو ثلاثًا ، فإنْ جاءك الوسواس بأنك لم تغسل وجهك ، أولم تغسل ذراعك ، أولم تمسح برأسك فلا تجبه ، واعزم المسألة ، والوضوء صحيح .

وإنْ كنت فى الصلاة ، وجاءك شك ، هل صليت ركعة أم ركعتين ، أو هل صليت ركعتين أم ثلاثًا ، فالقاعدة أنك تبنى على اليقين ، وهو الأقل ، فإنْ جاءك شك وأنت فى الصلاة : هل صليت ركعتين أو ثلاثًا ، فقل : صليت ركعتين ؛ لأن الركعتين أقل ، والقاعدة : البناء على اليقين ، واليقين هو الأقل .

أما إذا جاءك شك هل أنت على وضوء أم انتقض وضوؤك ؟

فإن كنت تذكر أنك توضأت ، ولا تذكر أنك دخلت الحمام لقضاء حاجتك ، أو خرج منك ريح أو نمت على غير هيئة المُتَمَكِّن ؛ فأنت على وضوء .

وإنْ كنت تذكر أنك قضيت حاجتك ، أو خرج منك ريح ، أو غير ذلك من نوقض الوضوء ، ولا تذكر إنْ كنت قد توضأت بعد ذلك أو لا ، فأنت محدث ، وعليك الوضوء ، وهكذا ، أى إنْ كان آخر عهدك الوضوء ولا تذكر بعده أنك أحدثت ، فأنت على وضوء ، وإنْ كان آخر عهدك الحدث ، ولا تذكر أنك توضأت بعده فأنت محدث ، وعليك الوضوء .

وبناء على ما سبق فلا مشكلة فى هذا الوسواس ، ولا يستجيب له ، حتى لا تخيل حياتك غما ونكدًا .

س : أنا شاب مسافر ، أعمل بإحدى دول الخليج ، ومتزوج وعندى ولد ، وبنت ,ووالدى يريد أنْ أُحَوِّل عليه كل قرش أعمل به باسمه ، وهو حر التصرف فيه ، يشترى الأراضى ، ويبنى البيوت باسمه ، ويقول : أنت ومالك لأبيك ، فهل أفعل ؟ وماذا أفعل من أجل بناء مستقبل أولادى ؟

ج : ليس هذا الذى يطلبه أبوك من العدل ، والله يأمر بالعدل ، وحديث : أنت ومالك لأبيك إذا كان أبوك محتاجًا إلى طعام يأكله ، أو إلى دواء ، وكساء ، وغيرهما ، من مقومات الحياة ، عندئذ تكون نفقته واجبة عليك ، كما كانت نفقتك واجبة عليه ، وأنت صغير ، لا تقوى على مواجهة الحياة ، ولا تستطيع الاستقلال بنفسك ، أما إذا كان أبوك ، وهكذا أمك ــ قادراً غير عاجز ، فله عليك الصلة والبِرُّ ، والهدّية من تحفة وفاكهة ، تدخل السرور على قلبه .

وقد قال الإمام الشافعى فى هذا الحديث المرسل ، لو حملناه على ظاهره ، ومات الابن فى حياة أبيه لما ورثه أحد غير أبيه ؛ باعتبار أنه وماله لأبيه ، ولم يقل بذلك أحد من العلماء . فللوالد نصيب معين من ميراث ابنه ، ولأمه ، ولزوجه ، ولأولاده .

فقول النبى ﷺ : (أنت ومالك لأبيك) من فقه الأساليب ، أى أن أباك ، يدخل بيتك ، ويأكل منه دون استئذانك ، وهكذا ، لكن أنْ يستولى على جميع مالك ، فهذا لم يقل به أحد .

كما تقول لشخص تحبه : أنت فى عينى ، وأنت فى قلبى ، وهو فى الحقيقة ليس فى عينك ، وليس فى قلبك ، إنما هو فى بيته ، وعلى الكرسى الذى يقعد عليه ، وذلك كله من باب فقه الأساليب ، أى ليس من المحمول على ظاهره ، وإنما هو يفيد أن من حق أبيك أنْ تطعمه إنْ كان جائعًا ، وأن تسقيه إن كان على ظمأ ، وأنْ تداويه إنْ كان مريضًا ، وهكذا .

لكن ذمتك المالية مستقلة ، وعليك أن تتصرف فى مالك وفق ما تريد من أوجه النفقات المشروعة الحلال ، فابْنِ لطفليك بيتًا ، وادخر لهما مالاً ، ولمفاجأة الزمن ، وأعط والديك حقهما من البر والصلة ، وإخوتك كذلك ، وسائر أرحامك ، ومن له حق عليك ، والمسلم عبقرى ، ومن آيات العبقرية أنْ تعطى كل ذى حق حقه .

وأنْ يسأل عن أخباره بصفة عامة ، فقد يكون فى حاجة إلى عون جديد ، ومدد جديد ، وعندئذ يُعينُه ، وهو سعيد ؛ لأن الله ــ تعالى ــ جعله سببًا فى إسعاد ولده ، وللأب والأم قيمة فى حياة أولادهما .

إن لم تكن فى إسعاد أبنائهما ، ففى أى شىء تكون !

وكم من أب وأم وجودهما فى حياة أبنائهما والعدم سواء ، بل إنّ العدم أحيانًا يكون أفضل من الوجود ؛ لأنّ العدم سُكُون ، والوجود حركة ؛ لكنها حركة غير طيبة ، حركة فيها إزعاج ، وتوتر ، وأذى .

وإننى أنصح للأبناء بالصبر على مثل هؤلاء الآباء والأمهات ؛ لأن التعامل مع الوالدين بغلظة وعنف من العقوق ، وقد قال الله ــ تعالى ــ فى الوالدين الكاذبين ، مخاطبا أبناءهما : ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ لقمان : ١٥

كما أنصح لهؤلاء الآباء والأمهات بأن يتقوا الله فى أولادهما ، وأنْ يرحماهم ، ويُحْسِنَا إليهم ، ويتركا لهما مساحة من الحرية ، يتنفسان فيها الحياة على هدوء ، وشعور بأن أحدًا لا يطاردهما ، ولا يُضيِّق عليهما .

س : أنا شابة متزوجة من مهندس زميلى ، وأمه تعاملنى معاملة سيئة ، وتَتَدَخَّل فى حياتى بطريقة بشعة ، تريد أنْ يكون معها مفتاح للشقة التى أعيش فيها أنا وزوجى ؛ لتدخل وقتما تريد ، فهى شقتها ، وتقول إنّ من حقها ذلك ، ومن حقها أنْ تعرف تفاصيل العلاقة بينى وبين ابنها ، حتى العلاقة الخاصة بيننا ؟

ج : أقول إنّ بعض الآباء والأمهات ظالمون ، يزعمون أنهم إذا اشتروا للابن شقة ليتزوج فيها فمن حقهم أنْ يدخلوها بلا استئذان ، وهذا ليس من الدين فى شىء ، إذ إنّ من الدين أنْ يستأذن الوالد على ولده ، والولد على والده ، ووالدته ، وكون أحدهما أو كليهما قد اشترى شقة لولده من أجل أنْ يعفه فيها بزواجه فشكر الله له ، لكن ذلك لا يعنى أن الملكية باقية لهما ، وأنّ ثمن هذه الشقة ، أنْ يهجما عليه فى أى وقت للتجسس ومعرفة الأخبار ، والعلاقة الخاصة بينه وبين زوجته .

وهذا ليس سلوكًا طيبًا ، ولا محمودًا ، فمن فعل هذا بأن أعان ولده أو اشترى له شقة عليه أن يحتسب ذلك عند الله ــ عز وجل ــ وأنْ يعامل ولده وكأنه هو الذى شقى وتعب ، واشتراها من كده ، ومن عرقه ، ومن جهاده ، فيرفق به ، ويحسن جواره إن كان يسكن معه فى بيته .

س : زوجى يَجُورُ على ، ويُهِينَنى أمـام والـدته ؛ لأن ذلك يُسعدها ، وإذا انفردت به ، وكلّمْتُه بعتـاب خفيـف ، صـاح فى وجهى ، وقال لى : إنّ أمى هى التى تُدخلنى الجنة لا أنت ، فأنا أسمع كلامها ، وأعمل على ما يرضيها ، وأمّا أنت فلتحترقى ، ولتذهبى فى ستين داهية !

ج : صحيح أنّ بره بأمه يُدْخِلُه الجنة إذا لم تكن له زوجة تدخله الجنة أيضًا بحسن العشرة ، ولا شىء فى فقه هذا الدين يدخل الجنة بغض النظر عن الأشياء الأخرى ، أى أنّ بِرَّ الوالدين إلى درجة العليا لا يدخل البَارَّ الجنة وهو تارك للصلاة ، أو على سوء ظن بالله ، أو غير ذلك ، إنما يدخل الجنة مجموع الأعمال الصالحة ، هب أنّ رجلاً كان باراً بوالدته ، وقتل مؤمنًا متعمدًا ، كيف يدخل الجنة ، وقد قال الله ــ عز وجل ــ فى آية النساء (٩٣) : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ النساء: ٩٣

هل قال الله ــ تعالى ــ إلاّ البار بوالديه !

لم يستثن ربنا ــ سبحانه ــ أحدًا ، ولا عملاً .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : (كفى المـرء إثمًا أنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُول) والزوجة ممن يعول الرجل ، فكيف يضيعها أو يُهينها ، أو يجرح مشاعرها عمدًا مِنْ أجل إرضـاء أمه الشـاذة ، التى يسرها أن

يهين ابنها زوجته أمامها ، وأنْ يهجرها ، ويقسو عليها ، وعندئذ تشعر بالراحة والسعادة ، فما هـذه السعادة إلا وهم ، وما هـذا الشعور إلاّ شعور إبليس ، الذى يجد السعادة فى الشقاء ، والراحة فى التعب ، والعمران فى الغراب ، وهكذا .

إنّ على مثل هذا الزوج أن يعطى أمه حقها من البر ، والزوجة حقها من حسن العشرة ، وجاره حقه من الإحسان ، وضيفه حقه من الإكرام ، وبدنه حقه من الراحة ، وقد جاء فى الصحيح قول النبى ﷺ { فأعط كل ذى حق حَقَّه } .

س : اخترت فتاة زاملتنى مدة الدراسة بالجامعة ، وأنا أعلم خلقها الطيب ، وسيرتها الحميدة ، ودينها المعتدل ، وحين تخرجنا ، وقد تعلقت بها وتعلقت بى ، وتواعدنا على الزواج فى البداية وافق والدى ووالدتى ، وتشرفت بصحبتهما إلى بيت زميلتى من أجل خطبتها ، فلما عدنا من عندهم ، وقد أكرمونا جدًّا رفض والدى الموضوع بحجة أنهم ليسوا من مستوانا الاجتماعى ، فهل لى أن أكمل وأتزوج زميلتى ، رغمًا عن عدم رضا والدى ، أم ماذا أفعل ؟

ج : هذا السؤال يتكرر كثيرًا ، وبالتالى فهو يمثل ظاهرة حقيقية ، ينبغى أنْ نهتم بها ، وأن نعالجها ، فالرَّجُل لا ولِى له فى زواجه ، فالولِى للمرأة ، لا للرجل ، ولو تزوج الولد بدون علم والديه ، أو على غير رضاهما ، فزواجه شرعًا صحيح ، لأنه يملك ذلك ؛ إذْ إنه ولِى نفسه ، لكن لكى يكون الزواج مباركًا علينا أن نتفق جميعًا ، وأن نجتمع معًا على سنة شرعية ، هى الزواج ، الذى من مقاصده اندماج أسرة فى أسرة ، وزيادة مودة بين عائلتين بالمصاهرة ، وليس فقط تزاوج فردين ، وعلى الأهل أن يسمعوا ولدهم ، ويقدروا شعوره وإحساسه ، وأن يعملوا على سعادته ، وإذا كان النبى ﷺ قد استمع إلى فتاةٍ أخبرته بأن أباها زَوَّجَهَا من ابن أخيه ؛ ليرفع بهذا الزواج خسيسته (وضاعته) ، وهى لا تحبه ، وهَمَّ بأن يبطل هذا الزواج لولا أنها قالت : سوف أمضيه ، ولكنى أردت أن يعرف الرجال أن ليس لهم سبيل على النساء ، فما بالنا بالرجل ، الذى يملك عقدة النكاح ،

ألاَ نقدر فيه رغبة ، ونكون بالنسبة إليه بمثابة المستشار ، والمستشار مؤتمن ، كما قال رسول الله ﷺ .

وليس من شأن المستشار أن يكون متسلطًا ، ولا جبارًا ، وإنما هو ناصح أمين ، يقول رأيه فى هدوء وثبات ، وجمال وإقناع .

إننا نثور عندما نستشار ، فنفقد الثورة حوارنا ، وتضيع ثمرته ، وما زلنا نعانى تخلفًا فى الحوار ؛ فنحن نحفظ آدابه ، ولكن لا نتحلى بها عندما نتحاور ، كما نحفظ كل شىء جميل نظريًا ، فإذا عملنا تناسينا كل شىء حفظناه ، وعملنا بما عهدناه من موروث عاداتنا ، وسىء ثقافاتنا ، والكفاءة عند المحققين من الفقهاء هى الكفاءة فى الدين ، ولا يضر اختلاف المستوى الاجتماعى ؛ فإن دوام الحال من المحال ، وقد تكون ذات المستوى الاجتماعى أفضل من غيرها بكثير .

ويقينى أن الحوار سوف يجدى ، وينفعنا الله ــ تعالى ــ به إذا أخلصنا النيّة ، وتحلينا بأدب الحوار ، ورغبنا فى أن نصل إلى نتيجة ترضى الله ــ عز وجل ــ ويكون فيها صلاحنا ، وصلاح أبنائنا ، وما يسعدنا ويسعدهم ، على الولد أن يقول ما يعرفه عن الفتاة التى أحبها ، أو توهم أنه يحبها ، وعلى الوالدين أن يقولا له ما يعرفانه بحكم خبرتهما ، وأنهما جربا الحياة قبله ، ولا بُدَّ لتلك الخبرة من أثر فى حياته ، فلا أحد يحب أن يكون غيره أفضل منه إلاّ الوالدان ، وبهذا المعنى الذى يجب أن يكون مستقرًا عنده ، وفى ضميره يكون السبيل

إلى مفاهمته ، ومخاطبته ، لعله فى وَهْمِ الحب ، أن يتخلص منه ، وأن يستجيب .

كما أنه يجب أن يزود الشـــباب بتلك الثقافة قبل أن يتصل بزميلة أو غيرها ، أى يجب عليه أنْ ينظر بعين الجماعة منذ البداية ، لا بعين الفرد .

وأن يقبل منذ اللحظـــة الأولى على الفتـــاة التى يقـــال فى مثلها : لا يختلف فيها اثنان ، وكذلك يجب على الفتاة ألا تَمْنَح قلبها ومشاعرها شخصًا تعلم منذ البداية أنه إن جاء لخطبتها فلن يرحب به أحد من أهلها ، ســـوء حاله ، وفســـاد خلقه ، وأنه غير أهلٍ لإقامة بيت ، وتوفير حياة كريمة لمثلها ، وغير ذلك .

فرفقًا بالشباب أيها الآباء والأمهات ، ورفقًا بالآباء والأمهات أيها الشباب .

س : أنا طالبة جامعية ، ومنذ اليوم الأول وأمى تقول لى : أنا لم أوافق على دخولك الجامعة إلا من أجل أن تحصلى على عريس (مِتْرَيِّشْ) ، ومنذ هذا اليوم ، وهى تسألنى : ألم تتعرفى على شاب ، ولو معيد ؟ ألم يقترب منك شاب ، كونى مثل فلانة ، تزوجت وهى فى السنة الأولى الجامعية ، ولا تكونى (خائبة) مثل فلانة ، التى تخرجت ، وقعدت ، ولم يسأل عنها أحد إلى الآن ، تريد أمى منى بصريح العبارة أن أكون بنتًا لَعُوبًا ، أصطاد شابًا من أجل زواجه ، وأنا ما ذهبت إلى الجامعة إلاّ من أجل طلب العلم ، فماذا أفعل ؟

ج : لا تفهمى ذلك من أمك ؛ فإن أمك مثل سائر الأمهات ، تخاف كل واحدة أن يفوت ابنتها قطار الزواج ، وقد تكون أمك غير مثقفة ، أو غير متحفظة فى كلامها ؛ فيفهم منها ذلك الذى فهمت قولى لأمك : حاضر ، وإن شاء الله ، واذهبى إلى كليتك من أجل طلب العلم ، واعلمى ,وعلى أمك أن تعلم أننا ينبغى علينا أن نكون أصحاب هدف ، أساس هذا الهدف هو العلم ، فإن جاء العريس فى الطريق ، وكـــان على اســـتعداد أن ينتظر دون أن يعطلك ، فبها ونعمت ، وإن كان على عجل ، أو أراد أن يوقفك عن طلب العلم ، فلربما كان ذلك سببًا من أسباب أمراض نفسية كثيرة ، تعانى منها البنات ، حيث تقع فى حيرة من أمرها ، هل تستجيب له وتتزوجه ، وتصرف النظر عن الجامعة ، وربما توفق أولا توفق ، فإن لم توفق لَعَنَت

ذلك اليـــوم الذى من أجله وافقت على زواجه وتركت العلم ، إلى غير ذلك .

حددى هدفك ، واسمعى لأمك وارحميها ، ولا تكونى موافقة إياها فى كل شىء خصوصًا إذا أمرتكِ بالمبالغة فى الزينة أو أمرتك بلبس ضيق من أجل هذا الغرض .

س : مع أن زوجى تزوجنى وأنا محجبة ، إلا أنه يلحّ على هذه الأيام كى أخلع الحجاب يقول لى : شكلك غير جميل فيه ، وأنا أحب أن أتباهى بك بين زملائى ، فهو رجل أعمال ، ومعظم زوجات زملائه ، وأصدقائه ، سافرات يظهرن بشعورهن ، متبرجات إلى حد مبالغ فيه ، فماذا أفعل ؟ هل أطلب منه الطلاق ؟

ج : يزعجنى أن معظم أسئلة الشباب تنتهى بطلب الطلاق ، والطلاق فض عروة الزوجية ، وهى ميثاق غليظ ، قال الله ــ تعالى ــ ﴿ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ النساء : ٢١

وقد شرعه الإسلام إذا استحالت الحياة بين الزوجين .

وأنت بوسعك ألا تكون الحياة مستحيلة بأن تخاطبى زوجك خطابا لينًا ، بأن أهـــم ما عنـــدك أن يراك هو حسناء ، لا أنْ يراك الناس ، نعم يمكنك أن تقـــولى له : إننى أعتكف فى البيـــت فى انتظارك ، حتى لا يكون شكلى مخالفًا لشكل زوجات أصـــحابك ، وكفـــانى شرفًا وفخـــرًا أن أكـــون فى انتظارك حتى تعـــود ، وســـوف أكون

فى عبادة حيث أصلى ، وأدعو لك بالتوفيق فى عملك ، وأقرأ القرآن الكريم وأدعو لك بالتوفيق فى مسائك ، وصباحك ، واجتماعك وكل وقـــت .

ولا بد أنك تعلم أن الله لن يحرمك الأجر والثواب ؛لأنك زوجى الذى أعاننى على طاعة الله ــ عز وجل .

إننى لست سيدة أعمال مثلك ، ولا مثل رفاقك ، سوف أكون مجرد صورة ، ولن يرضى كريم مثلك أن تكون زوجته التى يحبها ، ويبقى عليها ، مجرد صورة ، وقد قلت ,وما زلت أقول فى خاتمة برنامجى (الموعظة الحسنة) :

بُحُسْنِ الوَعْظِ تُمْتَلَكُ القُلُوبُ
وَصَخْرُ الطَّبْعِ مِنْ لِينٍ يَذُوبُ
فَقُلْ للمسرفين أَلاَ رَجَعْتُم
فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُ مَنْ يَتُوبُ
وَرَحْمَتُهُ لَأَوْسَعُ مِنْ خَيَالٍ
وَلَوْ كَثُرَتْ مِنْ العَبْدِ الذُنُوبُ

س : أنا طبيب شاب ، وأنت تعلم أن الراتب ضعيف ، ثم إنى زوج لطبيبة شابة كانت زميلتى ، ونحمد الله أن وفّر لنا والدى شقة تزوجنا فيها ، ومعنا طفلة صغيرة ، عمرها عامان ، وجاءتنا فرصة عمل فى الخارج ، ولكن تتطلب شهادة (مضروبة) بموجبها نسافر ، ونعود وقد كوّنا مستقبلنا ، وكثير من زملائنا فعلوا ذلك وسافروا ، فما رأيك ؟

ج : لا يجوز ، يا ولدى أن تُكَوِّنْ نفسك على أساس مضروب (مزور) فإن التزوير ، والتدليس ليس من الإسلام ، الذى هو عصمة أمرنا ، وإذا كان الدين حقًّا عصمة أمرنا ، كان علينا أن نأتمر بأمره ، وأن ننتهى بنهيه ، وإلاَ فما معنى (عصـــمة أمرنا) إنّ معناها : أنه يحكمنا ، وأنه يملك زماننا ، وقد كان رسول الله ﷺ يُمْسك بالتمرة فى الطريق ، ويُميط عنها الأذى ، ويقـــول : { لولا أنى أخشى أن تكونى من الصدقة لأكلتك } .

وقد اختفت (لولا) من حياتنا مع الأسف ، ولو عادت ـــ وينبغى أن تعود ـــ لقال مثلك :

– لولا أنّ هذا السفر مبنى على حرام لفعلت كما فعل غيرى ، وسافرت .

تذكر أن دينك لا يرضى بالحرام .

واقرأ قول الله ـــ تعالى ـــ فى الآية (١٠٠) من سورة المائدة :

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

فالسفر الذى يحقق لك الكثير من المال الخبيث ؛ لأنه مبنى على شهادة مزورة ينبغى أنْ تؤثر عليه الإقامة مع قلة الطَّيِّبْ الذى يأتيك أنت وزوجتك راتباً حلالاً ، وتصور أنّ الله الذى قال : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ ﴾ : سوف يبارك فى هذا القليل الطيب ، متى صدقت النية ، لقد تاجر عبد الرحمن بن عوف ﷺ وكان ربحه عقال بعير ـــ أى شيئًا تافهًا ـــ ، وبارك الله له ، حتى صار صاحب ملايين ، مع أن أخاه سعد بن الربيع ﷺ عرض عليه نصف ماله ، وكان كثيرًا ؛ فأبى مع أنه لم يكن حرامًا أنْ يأخذ من أخيه ، ولكن أبت نفسه إلاّ الأزكى ، وتلك دعوة الإسلام التى غفل عنها كثير من المسلمين !

س : أشـــعر بمرارة تكاد تقضى عَلَى ، وأنا أرى زوجة أخى زوجى (سلفتى) تتقرب إلى حماتى ، وتُكوِّن معها جبهة ضدى ، وأدعو عليها ، فهل يجوز أن أدعو عليها !

ج : لقد دعا النبى ﷺ على الكفار شهرًا حتى نزل عليه قول الله ــ تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ آل عمران : ١٢٨

فلم يدع عليهم بعـــد ذلك ، وفى قصة إســـلام الطفيل بن عمرو الدوسى رضي الله عنه أنه جاء رسول الله ﷺ وقال له : غلبتنى دوس ، وآثروا الزنا الذى غلبهم على الهدى ، فادع عليهم يا رسول الله ؛ فقال عليه الصلاة والسلام : (اللهم اهْد دوسًا) .

وقد عنون المحدثون لهذا الحديث الشريف بعنوان

{ *باب الدعاء للمشركين ليتألفهم* }

(وسلفتك) ليست مشركة ، وكذلك حماتك ، فهما أولى بالدعاء لهما للتآلف ، وراجعى نفسك ، فقد تكونين أنت المخطئة ، واعملى ــ فى النهاية ، ما عليك ، واعلمى أن الله ناصرك قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ الحج : ٣٨

س : أنا شاب ، ابتليت بالعادة السرية ، وكلما تبت إلى الله ، رجعت إليها من جديد ، فماذا أفعل ؟

ج : إن الله ــ عز وجل ــ يقول فى صفات المؤمنين : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ ﴾ المؤمنون: ٥ ـ ٦

وحفظ الفرج يقتضى عن هذه العادة السرية ، التى قد تؤثر سلبًا بلاشك على الجهاز التناسلى ، وقد صرح الأطباء بذلك .

وإذا كان حفظ الفرج واجبًا إلا على الزوج ؛ فإن السبيل إلى ممارسة تلك الغريزة هو الزواج ، وقد قال النبى ﷺ : { يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ؛ فإنه وجاء } أى وقاية .

وطبعًا لـــن يستمر الشـــباب العاجزون عن الزواج أنْ يصوموا للأبد ، وإنما عليهم أنْ يعالجوا ذلك ، كما أن عليهم أن يعالجوا كل قضية .

ومن معالجة تلك القضـــية أن يمارســـوا الرياضة ، وأن يشغلوا أنفسهم بالقراءة ، والنافع الصالح من الأعمـــال ، وأن يبعدوا كل البعد عن مواطن إثارة الشهوة ، والغريزة ، مـــن مشاهدة الأفلام المثيرة ، والرقص ، والعرى ، والشات ، والمبالغة فى خطاب النساء ، والبنات .

وقد قال الله ــ عز وجل ــ : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ النور : ٣٣

والله ــ عز وجل ــ لا يكلف نفسًا إلا وسعها ، فبوسع الشباب أن يستغنوا ، ويعنهم على العفة أن يلتزموا بأخلاق دينهم ، وأنْ يَنْأَوْا بأنفسهم عن مواطن الإثارة ، فلن تَتَسَنَّى لك العفة وأنت فى موطن من مواطن الرذيلة ، أو الإثارة التى باتت هَمَّ كثير من الناس ، الذين اتخذوها تجارة ، فافتتحوا قنوات خاصة يعرضون فيها كل ما يُثير الغريزة ، ويباعد بين الناس خصوصًا الشباب ، وبين الفطرة .

وهناك نقطة أخرى ، هى من الخطاب الدينى ، وقَلَّ مَنْ يتحدث فيها ، وهى الرضا بما يقضى على العنت فى الاختيار .

قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ النساء : ٢٥

انظر كيف قال ــ الله ــ تعالى ــ ﴿ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ﴾ .

والعنت : المشقة والمعاناة ، فمن خشى التَّعب والمعاناة تزوج ابنة البواب صاحبة الدين ، مادام غير قادر على مهر ابنة الوزير ، وهكذا ، لكنّ كثيرًا من الشباب يصرّ على مثل ابنة الوزير ، إما هى وإلّا فلا ، ولم يبق بَعْدَ (لا) إلاّ العنت ، وممارسة الرذيلة ، ومنها العادة السرية ، وغيرها من العنت وآفاته ، وصوره ، ومظاهره ، ونتائجه السيئة من الإحباط والاكتئاب .

س : أنا فى حيرة من أمرى ، هل أسافر وأترك والدى ، ووالدتى معلقة بى إلى حد كبير ، أم أعمل هنا ؟ والعمل هنا ــ كما تعلم ــ قليل الجدوى ــ وهذه الحيرة تعذّبنى ، فماذا أفعل ؟

ج : وإذا كان عملك هنا معتدل الدخل ، وعندك بيت تتزوج فيه ، وتستطيع أن تعيش أنت وعروسك حياة طيبة كريمة ، فلا تسافر ، ولا شك أنَّ إسعاد أبويك عبادة ، وَبِرَّكَ بهما من أقرب القربات إلى الله عز وجل .

وإذا كان سفرك يحقق رجاءك ، وينتقل بك من بؤس الحال إلى السعة ، فالسفر لازم ، وعلى والديك أن يعلما أنك معذور ، وأن عليك أن تبحث عن رزق أوسع ، وعيش أرغد ، وذلك جهاد فى سبيل الله .

وليس معنى سفرك أنك سوف تتركهما إلى الأبد ، أو أنك ولد جاف ، وقاسٍ ، وعاق ؛فإنك مضطر للسفر ، وعندما يفتح الله عليك سوفً تعود إليهما برزق الله ــ عز وجل ــ

وقد عففت نفسك ، وأرضيت ربك ، وأسعدت مَنْ حولك .

س : والدتى تدعوا على ليل نهار بأسوأ ألفاظ الدعاء ، وتقول لى ، وخاصة إذا رأتنى أصلى ، : لن يرضى الله عنك إلاّ إذا رضيت أنا عنك أولاً ، مع أننى تحت قدميها ، وأخدمها خدمة العبد لسيده ، فهل يؤثر سلبًا على دعاؤها ؟

ج : إذا كنت كما تقول فلتدع عليك والدتك ، ولا خوف عليك ؛ لأن والدتك ، وجميع الناس ، يدعون الله رب العالمين ، وهو السميع العليم ، الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، والتهديد بالدعاء عليك أو على غيرك من باب عدم الفقه فى الدين ، لأنه لا يوجد فى دين الله ــ إما أن تفعل كذا ، وإما أن أدعو عليك !

إذا كان القائل يدعوك إلى أمر فيه مخالفة لشرع الله ــ عز وجل ــ

وإذا أحسنت إلى إنسان ، والد كان أو غير والد ، ودعا عليك فإنما هو بمثابة مَنْ لا يعقل ، الذى كان عليه أن يدعو لك جزاء إحسانك ، فالله يقول : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ الرحمن: ٦٠ .

س : عزمت على خطبة فتاة ، عرفتها بحسن الخلق والشكل ، والجد فى العمل ، والإخلاص فيه ، لكن جاءنى شخص هو زميل لنا ، وقال لى : ابتعد عن هذه الفتاة ؛ فإنها سيئة الخلق ، وأنا على علاقة بها ، وقد فعلت كذا وكذا ، وقد صارحتها بما قال زميلنا ؛ فقالت : حسبى الله ونعم الوكيل ، أنا بريئة مما قال ، ولو كان عنده دليل واحد على علاقتى به فليأت به ، وقد قلت لهذا الزميل عن مسألة الدليل فلم يستطع أن يأتى بشىء ؛ فتأكدت أنّ الفتاة بريئة ، لكن وقع فى نفسى شك منها ، وقَلَّتْ رغبتى فيها فماذا أفعل ؟

ج : إذا كنت كما تقول : تأكدت من براءتها ، ولكن ما زال فى قلبك شك منها فلتحمد هى الله على ذلك ؛ لأن مثلك لا يستحقها ، ويكون ربنا ــ تعالى ــ قد رحمها من رجل يكون على يقين من البراءة ، ثم لا يزول الشك من قلبه ، فماذا تفعل إن تزوجتك وحملت ، أو ولدت منك ، وحدث موقف بينكما مثل هذا ، وبيّنت لك براءتها ، أتظل تشك فيها ! وكيف تشعر بالأمان معك ؟

إما أن تراجع نفسك ، وإما أن تتركها ، والله يخلف عليها بخير منك .

س : أُمِّى على علاقة شبه منقطعة بخالتى ، وقد حَلَفَتْ على ألاَ أكلمها ، وحرمتنى عليها إنْ فعلت ، وعَلِمْتُ بأنّ خالتى مريضة ؛ فذهبت إلى زيارتها دون علم أمى ، فهل عصيت بذلك الله ؟

ج : أبدًا ، إنما أطعت بذلك الله ــ عز وجل ــ لأنك وصلت رحمك ، والخالة والدة كما قال رسول الله ﷺ والقاعدة عند المسلمين أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، لا تملك أمك ، ولا غيرها أن تحول بينك وبين صلة خالتك ؛ لأن صلة الأرحام من عزم الأمور فى هذا الدين ، قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء : ١

وقال عز من قائل : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ محمد : ٢٢ ـ ٢٣

وروى مسلم فى صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال : ﴿ مَنْ سرّه أنْ ينسأ له فى رزقه وفى عمره فليصل رحمه ﴾

واحرص كل الحرص على الصلح بين أمك وخالتك ، فالله ــ تعالى ــ يقول : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ النساء : ١١٤

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ النساء : ١٢٨

وذلك حتى تؤدى أركان دينك على مرآى ومسمع من أمك ، فلا تغيظها بأن تصل رحمك على حساب مشاعرها الخاطئة ، ولا يتسرب إليك الخوف من جهة أمك خشية أن تراك ، أو تسمع بأنك وصلت خالتك التى تراها عدوتها ، وما هى بعدوتها فى الحقيقة .

وتكون بهذا الصلح قَدْ عملت عملاً صالحًا يرضى ربك — عز وجل — .

س : أنا شاب أعمل بالخارج ، وقد نزلت مصر من أجل أن أتزوج ، وأعود بامرأتى هنا ، وأنا الحمد لله ظروفى هنا حسنة جدًّا ، عندى شقة فاخرة ، وسيارة حديثة ، وراتبى عال ، بما فى ذلك أرباحى ، وما أحصل عليه من الشركة التى أعمل بها ، وقد اختار لى أهلى زوجة صالحة ، أعجبتنى عندما رأيتها ، وصارحتها بكل شىء ، ووافقتنى ، وجاءت معى ، لكنها كدرت على صفوى ، وصارحتنى بأنها لن تستطيع البقاء معى هنا ، وأنها لا بد أن تعود إلى مصر ، وذلك بعد أن حملت ، فقلت : إنها سياسية ، مخططة لكى تقول لى ذلك بعد الحمل ، والتأكد من أنها سوف تحتلّ شقتى بمصر ، فماذا أفعل ؟

ج : أى شىء يتم إنجازه بسرعة غير عادية توقع فيه النجاح ، وتوقع فيه الفشل ، والفشل أقرب من النجاح ، وفرق كبير بين أن تتزوج عن روية وحسن اختيار ، وبين أن تتزوج بتلك الطريقة .

ولكن الحق أحق أن يتبع ، فلا تزعم أنّ رغبة امرأتك فى النزول إلى مصر ، والعيش هناك بعيدًا عنك من باب السياسة والتخطيط للاستيلاء على الشقة ؛ لأن ذلك وافق حملها .

فتلك ثقافة خاطئة ، وراءها موروث سىء من أقوال الناس والأعمال الدرامية التى تشاهدها .

بوسعك عقلاً وديناً أنْ تجعل رغبتها هذه من باب الموافقة ، كالذى قال لصاحبه : أصابك الله بكذا ، فأصيب بكذا ، لو كان مسلمًا مثقفًا ثقافة حقيقية لقال : (وافقت دعوتى قدرًا) ، وما جزم بأن دعوته قد اسْتُجِيبَتْ .

ومن قديم مات إخوة رجل من الصحابة ، فلبس ثوب أحدهم ؛ فقال رجل : لقد فرح هذا بموت إخوته ؛ حتى يرثهم ، ويلبس ملابسهم ؛ فحزن ذلك الرجل وقال : لئن كنت كاذبًا أصابك الله بما أصابنى ، وقد كان ، مات إخوته جميعًا ، فلما بلغ ذلك الرجل قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وافقت قدرًا ، وأورثت بغضًا ، أى أن هذه الدعوة التى خرجت من فمه وافقت قدر الله ــ تعلى ــ ومع ذلك فقد أورثت بغضًا ، والبغض : شدة الكراهية ، فعليك بأن تصبر على زوجك ، من أجل أنها أولاً زوجتك ، ومن أجل الذى فى بطنها ، حتى يقبل على حياة أمينة سعيدة ، ولا شك أنّ زوجتك ضاقت ذرعًا بالغربة ، ولا عهد لها بها ، فارحمها ، واجعل لغربتك أنت هدفًا ، فقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال : { إذا قضى أحدكم نهمته من غربته فليعجِّل بالرجوع إلى أهله } .

س : أنا شاب أعمل بشركة ، وبعض العملاء يعطينى شيئًا من المال ؛ فأقبله ولا أدرى إن كان حلالاً أو حرامًا ؟ فما رأيك ؟

ج : يقول ﷺ لا يحل مال امرىء إلا بطيب نفس منه وما دام هؤلاء يعطونك دون أن تسألهم ، وبطيب نفس منهم ، فهو حلال ، بشرط ألا تخالف قواعد عملك بشركتك من أجلهم ، أو أن تقدمهم على غيرهم وهم لا يستحقون هذا التقديم ، وقد يعطيك بعض هؤلاء نظرًا لسوء حالك ، وهم ينوون بذلك الصدقة ؛ فتقبل الله منهم ، وبارك الله لك فيما أعطوك ، والأمر على ما بينت لك من أنه لا محاباة ولا مجاملة ، ولا كسر لقواعد العمل ، فلا يكن عندك حرج من ذلك ، وهناك شرط آخر يجب أن يتوفر عندك ، وعند جميع المسلمين ، وهو أن تكون عفيفًا ؛ فقد جاء فى الحديث الصحيح : { من استعف أعفه الله } وقد تميل برأسك إشارة إلى أنك تنتظر العطاء ، وقد تربت بيدك على كتف عميلك إشارة إلى أنك تريد منه شيئًا، وقد تقول له : هل تأمر بشىء آخر ؟ أو أى خدمة ؟ إشارة إلى أنك تقول له : أعطنى من جيبك شيئًا، ونحو ذلك مما يتعارض مع الاستعفاف ، فإن كنت مستعفًا ومضيت بعد أداء عملك دون انتظار شىء من العميل ، وجرى هو وراءك ، أو ناداك بقوة ، وأعطاك شيئًا فلا بأس فى هذا ؛ فقد روى البخارى فى صحيحه أن مالاً جاء رسول الله ﷺ فأعطاه عمر بن الخطاب ﷺ فقال عمر : يا رسول الله ، أعطه من أهو أفقر منى .

فقال ﷺ ياعمر ، إن هذا المال حلوة خضرة ، فإن جاءك من غير أن تسأله ، فخذه ، وتموله فإنه رزق ساقه الله إليك ، ويبارك لك فيه .

وبمثل هذا قال ﷺ لحكيم بن حزام ؛ فعاهد رسول الله ﷺ ألا يسأل أحدًا بعده ، حتى إنه كان يأبى أن يأخذ عطاءه من بيت المال ، وكان عمر ﷺ يشهد عليه الناس فى ذلك ، ومع هذا كان حكيم ﷺ أغنى الناس ، وأعتق يوم حج كثيرًا من الرقاب بلغة ألف رقبة وساق ألف هَدْى ، وكتب على ذلك كله : هؤلاء عتقاء حكيم بن حزام من النار .

س : أنا شابة متزوجة وأكره أمى كرهًا شديدًا إلا أننى أخدمها بكل قواى ، فهل يعطينى الله أجرى على خدمتى لها مع هذا الكره الذى هى سبب فيه ؛ فقد كانت تسىء إلى والدى حتى مات وهو غير راض عنها ، وبلغت بها الإساءة إلى حد أنها كانت تضربه ، ويوم جاء زوجى لخطبتى أساءت إليه وإلى أسرته ، واحتكرت وظيفته ، وبرغم أنى تزوجته ، ولم أر فيه إلا الخير ، وأنجبت منه ذكورًا وإناثًا ، وقد سترنا الله به ، فمازالت تلعنه ، ولا تحبه ، إلى غير ذلك من الأمور التى جعلتنى أكرهها .

ج : الإسلام يعرف مقتضى الحب ، لكن الحب نفسه ليس قضية ، ومقتضى الحب الذى إن تحقق فالفضل لله الذى بيده القلوب ــ أن نعمل من أجل من نحب ، وأن نسعده ، وأن نخدمه ، وإن لم يتحقق كان علينا ذلك أيضًا ، وقد قال ﷺ { لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه } فقد قال ﷺ حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ولم يقل : حتى يحب أخاه ؛ فإنه ليس بوسع الإنسان أن يحب أخاه ، وإنما بوسعه أن يحب له الخير ، كما يحب لنفسه .

والدين يقام بمقتضى الحب لا بالحب ، ولتفصيل ذلك أقول :

ليس شرطًا أن تحب الصلاة من أجل أن تصلى ، لأن الله يقول (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا) ومعنى كتابًا أى فريضة مكتوبة ، وقد قال الله ــ تعالى ــ ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن

تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ البقرة : ٢١٦

فقال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، أى غير محبوب ، لما فيه من الجرح وإزهاق النفس ، لكن فيه الخير من الدفاع عن الدين والأوطان ، وردع المعتدين ، وإرهاب من توسوس له نفسه بالاعتداء على حرماتنا ، ومقدساتنا .

والصيام حرمان ولا أحد يحبه ، لكن لابد منه إذا كان المكلف قادرًا عليه ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة : ١٨٣ ولا أحد يحب أن يخرج من جيبه مالاً يعطيه لغيره ، ومع ذلك فعليه زكاة واجبة ، قال فيها الإمام ابن أبي جمرة ــ رحمه الله ــ : إن الزكاة يخرجها البخيل من ماله كأنه يخرج روحه من جسده ، ومع ذلك يتقبلها الله ؛ لأنها فريضة .

ولا شك أن المؤمن بالتدريج يحب ما فرض الله عليه ، لكننا لا ننتظر هذا الحب ، بل علينا أن نؤدى ما كتب علينا دون النظر إلى مسألة الحب هذه .

والعلاقة بين الأزواج قائمة على السكن ، والمودة ، والرحمة ، والثلاثة { السكن والمودة والرحمة } من مقتضيات الحب ، قال

الله ــ تعالى ــ ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الروم : ٢١

ما قال الله : لتحبوا :

وقد جاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ إنى أريد أن أطلق زوجتى ؛ فسأله عمر لماذا تريد أن تطلقها ؟ فقال الرجل : لأنى لا أحبها .

فضربه عمر ، وقال : وهل تبنى البيوت على الحب !

وصدق عمر ﷺ فإن البيوت تبنى على قوام الحياة (الارز والمكرونة ، واللحم ، والسمك ، والدجاج ، والخبز والجبن ، والزيت ، والزيتون ، والملح ، والفلفل ،) مع حسن العشرة .

والحياة الزوجية مع الكره ممكنة جدًّا ، والدليل على ذلك .

قول الله ــ تعالى ــ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ النساء : فقال تعالى : فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل

الله فيه خيرًا كثيرًا ، ولم يقل سبحانه وتعالى : فإن كرهتموهن فطلقوهن .

فلو انتظرنا الحب قبل أن نعمل فلن نعمل شيئًا ومن ذلك بِرك بأمك ، لو نادتك أن تسعفيها بكوب ماء ؛ فقلت : لن أقدم لك كوب الماء حتى أحبك لماتت أمك على ظمأ ، وكنت قاتلة لها ، وإنما عليك أن تسعفيها بما تريد ، أحببتها أو لم تحبيها ، وكذلك سائر الأعمال فى حياتنا ، وقد قال ﷺ : (حفت الجنة بالمكاره) أى بالأعمال التى تؤدى على كره أى على مشقة ؛ فمن ذا الذى يشتهى أن يقوم من فراشه قبيل الفجر كى يصليه فى أول وقته ، ومن ذا الذى يحب الازدحام فى الطواف والسعى ، ويتحمل الصبر على الجوع والعطش فى رمضان خصوصًا فى الصيف ؛ إنما يتحمل ذلك كله وهو عليه شاق من أجل ثواب الله العظيم ، فبرى بأمك وإن كنت كارهة لها لأن الله لا يحاسبك على إحساس وإنما يحاسبك على عمل .

واعلمى أن ثوابك أعظم من بر التى تحب أمها ، والدليل على ذلك قول النبى ﷺ { ليس الواصل بالمكافئ ، وإنما الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها } أى أن الذى يصل رحمه الذين يؤذونه ويقطعونه هو الواصل الحقيقى ، أى الواصل الذى ثوابه أعظم من الذى يصل أرحامه ، ويصلونه ، ويحسن إليهم ، ويحسنون إليه .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، وافتح لنا من واسع رحمتك ما نبصر به حقيقة ديننا ، واهد شبابنا الذين هم عدتنا لإقامة ديننا ، وعمدتنا فى بناء أوطاننا ، وﷺ على سيدنا محمد خير من هدى الله به الناس أجمعين خصوصًا الشباب وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الحساب .

أ.د مبروك عطية

الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف

والداعية الإسلامى